نصوص

مسرحية

ياليل ياعين

موال مسرحي
في نفس واحد

شخصيات المـوال المسرحي

عبد اللـــــه : مجذوب الحي والمدينة

عبد البصير : الكاتب الذي كان أعمى

القنفـــــود : المخبر

النمــــــس : المخبر

درهمــــــان : الشحاذ الأعمى

جوقة العميان

عــــــــواد : العواد في الجوقة

موســــــى : عازف الكمان

القصبــاوي : عازف الناي

فرحـــــان : ضابط الإيقاع

الصافيــــة : المرأة المنتظرة

بن هـــــدي : الرجل المنتظر

معــــــروف : صديق بن هدي

البحـــــار : الناسي

الرجـــــــل

1 - بـداية الـمـوال ..

(ساحة فارغة، هي جزء من جسد مدينة راقية، وعند هذه الساحة تلتقي مجموعة من الطرق، والتي تأتي من أحياء سكنية مختلفة من المدينة في الخلف، وعلى بعد بعيد جداً ، تلمع أضواء باهتة تمثل أحياء صفيحية فقيرة، غارقة في الصمت والظلام .تطوق الساحة أشكال هندسية متداخلة تمثل أبواب الفنادق الفاخرة، وتشير إلى أبواب النوادي الليلية وإلى المطاعم، وإلى الواجهات الزجاجية اللامعة.. على هذه الأبواب تلمع كتابات ضوئية، يمكن أن نقرأ منها: مقهى النور، حانة الوجود، فندق الهناء، مطعم الذوق الرفيع، كشك الجرائد والهدايا، نادٍ خاص..)

الوقـــــت : ما قبل منتصف ليلة ربيع..

أما الزمـــن : فهو هذه الأيام، أو ما يمكن أن يشبه هذه الأيام، أو ما يمكن أن تأتي به الأيام في يوم من الأيام.

أعمدة الإنارة العمومية ترسم بقعاً ضوئية هنا وهناك

(يسمع جرس يرن، يدخل درهمان الشحاذ، وهو يسوق دراجة هوائية)

درهمـــــــان : (يضع على عينيه نظارات سوداء ، مما يوحي بأنه أعمى) وا ديرو الطريق، راه درهمان الشحاذ، واللي هو أنا ، جاي فالطريق، أنا غير اعمى، والعمى ما عليه لومه، أنا غير أعمى، والهم همكم أنتما .. (يترجل) أسيادنا ، أمالين الخير ، من فيكم يكون كريم وزعيم ، ويعطينا شي مليون درهم؟ كثيرة مليون ؟ ما عليهش ، ربما بالغت كثيراً ، وألف درهم ، ما قولكم فيها ؟ حتى هي كثيرة ؟ إيوا اعطيوني غير اميا ، ولا مياتاين .. إلى كنتم من هذه البلاد ، بحالي، أعطوني الدرهم، راه مقبول منكم، أما إذا كنتم من السواح ، آراو العملة ، و كيف ما كانت هاد العملة يا احباب الله، ما يهمش ، المهم أن تكون صعبة،

أمريكية كانت ، كندية ، أوروبية ، يابانية خليجية، روسية، كل شي مقبول عند الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.. (يعترض طريق رجل خارج من حانة ، ويوقفه بعصاه) آجي انت فاين غادي ؟ أدخل يدك في جيبك، وآرا شي بركة ..

الرجـــــــل : قل أولاً، كيف رأيتني وأنت .. ؟

درهمـــــــان : كيف ؟ الله وحده يعلم كيف ، أما ، أنا فلا شيء يشغلني إلا كم.. كم تعطيني أنت ، وكم يعطيني الآخر..

الرجـــــــل : إنني لا أظن أنك قد رأيتني بأم عينيك ..

درهمـــــــان : سبحان الله، ألا تعرف ؟ أم عيني ماتت يا صاحبي (يبكي بافتعال) ماتت وتركتني يتيم العينين ..

الرجـــــــل : أقلت ماتت ؟

درهمـــــــان : من زمان هادي ..

الرجـــــــل : كلنا لها يا صاحبي ، والدوام لله وحده ..

درهمـــــــان : ومن أجل أم عيني أريد أن (تدور) معي ، وأن تعطيني شيئاً من وسخ الدنيا..

الرجـــــــل : ماذا أقول لك يا صاحبي ؟

درهمـــــــان : قل هاك آدرهمان ، قلها ولا تخف ، واعطني بلا حساب، راه ما كيحسب، ولا يتحاسب إلا المزلوط ـ حاشاك ـ وما أظنك مزلوطاً ولا مسخوطاً ..

الرجـــــــل : جئت متأخراً يا صاحبي ..

درهمـــــــان : متأخراً؟ واخا جئت راكباً عود الريح، واللي هو ولد عم بساط الريح؟

الرجـــــــل : صاحب الحانة أخذ كل شيء ..

درهمـــــــان : ولد الحرام ..

الرجـــــــل : ولو أنك جئت قبل ساعة ، لأعطيتك ، وأعطيتك ، وأعطيتك، حتى تقول كفاني .. كفى ..

درهمـــــــان : أنا أقول كفى ؟ الله يعطيني لعمى لكحل إلى نقولها ، وإلى حتى أفكر فيها.. أبيه ، راهم قالوها في الأمثال وما كذبوا ..

الرجـــــــل : ماذا قالوا ؟

درهمـــــــان : قالوا، أصحاب الحانة ، ما تركوا لأولاد الحلال شيئاً (مشيراً

إلى نفسه) اعطني سيجارة (الله يعفو عليك) ..

الرجـــــل : تريد سيجارة ؟

درهمـــــان : أبيه ، وأريدها ـ شرف الله قدرك ، أمريكية ، هذا هو شرطي ومطلبي، وأن تكون شقراء ، مثل الذهب الخالص ، أو في لون الويسكي المستورد ..

الرجـــــل : خذ (يمد إليه بعلبة السجائر، فيتلقفها درهمان، يخرج منها سيجارة واحدة، ثم يضع الباقي في جيب سترته)

درهمـــــان : ماذا أقول لك ؟ شكر الله سعيكم ، وعلى كل حال ، هذه حسنة، ولو أنها صغيرة وتافهة ، فقد كتبت لك، وستجدها إن شاء الله يوم الحساب في ميزانك المقبول.. (وهو يشم السيجارة) آش هذا ؟ هذه سيجارة ليست ولابد يا صاحبي ..

الرجـــــل : وكيف عرفت ، وأنت لا ترى ؟

درهمـــــان : لا أرى نعم ، ولكنني أشم يا صاحبي ، وقد يحدث أن أرى في بعض الأحيان..

الرجـــــل : عجباً، أنت أعمى وتراني، وأنا الذي لست أعمى لا أراك ، ولا أرى أحداً سواك ..

درهمـــــان : ومن قال ، أنت لست أعمى ؟ العمى يا صاحبي أشكال وألوان، وأخطر كل العميان ، في هذا الزمان، وفي غير هذا الزمان ، هم السادة الأغبياء..

الرجـــــل : وأظن أنني ، ياصاحبي ، لست من هؤلاء ..

درهمـــــان : آه، ومن سوء حظك وحظي، أننا لسنا من هؤلاء ، ومن يرفض أن يكون من أصحاب السعادة، ومن أصحاب الفخامة ، ومن أصحاب العظمة البلداء ؟ غبي وابن غبي ، من يرفض أن يكون غبياً في دولة الأغبياء .. أنا أعمى حقاً ، ولكنني حاضر دائماً يا صاحبي، والأعمى الحاضر يرى ما لا يراه المبصر الغائب .. (يواصل الكلام، ولكن كلامه لا يسمع ، لأنه يتلاشى وسط الضجيج والصخب ووسط موال صادر من الحانة، تدخل جوقة العميان ، وتعبر بسرعة ، ويطل المخبران ، النمس والقنفوذ من خلف حائط، وتعبر الصافية وهي تدفع عربتها ، ويدخل رجل في زي البحرية، وهو بتمايل، وتكثر الحركة على

المسرح، وتتعالى الأصوات الخارجية ، ويتداخل صوت الغناء والموسيقا وتتقاطع الكلمات المبهمة ، وفجأة يتوقف كل شيء، ويصبح المشهد جامداً، وتزحف الظلمة عليه شيئاً فشيئاً ، ولا تبقى إلا بقعة ضوء صغيرة وضيقة ، داخلها يقف عبد الله المجذوب)

2 - المدينة وشهادة المجنون

(عبدالله، وهو يتأمل الفضاء الفارغ حوله ، وينصت لموال قادم من بعيد)

المـــــــوال : سكرت من المعنى الذي هو طيب ،ولكن سكري بالمحبة أعجب

عبد اللـــــه : هذه هي المدينة، ليس كل المدينة ، ولكن وجهها الليلي فقط، وهؤلاء الناس، هذا وذاك وتلك والآخر، وهؤلاء والآخرون والأخريات ، هؤلاء هم كائنات الليل فيها ، ومن كان مجنوناً مثلي، ومن كان مدمناً على التسكع مثل عبد الله المجذوب، لابد أن يعرف كل شيء ، ولابد أن يعلم ، أن كائنات هذا الليل، ليست هي نفسها كائنات النهار..أنا الموجود هنا ، الاسم فلان ، والجنس إنسان ، والوطن ؟ وطن الغرائب والعجائب ، ووطن الهم والأحزان ، أما العنوان ، فهو هذا المكان، وهو كل مكان، وهذا العمر يا سادتي، ما هو إلا رحلة .. رحلة طويلة أو قصيرة، باتجاه مملكة الصمت والنسيان ..هذه فنادق، لها نجومها الأرضية، كما السماء لها نجومها السماوية، وهي كائنات إنسية حقيقية، مثل كل الناس في المدينة ، بعضها سيءالسمعة، وبعضها الآخر سمعته بين بين ، وأكثرها فنادق مشبوهة والعياذ بالله ..وهذه مطاعم فاخرة، أكلها طيب وشهي وحلال، هكذا قالوا، والله أعلم، ولكن بعض روادها ـ قلنا بعضهم فقط ـ من أولاد الحرام، ورزقهم أيضاً ، رزق حرام ..إنهم يأكلون طعاماً له ذوق ، ويشربون شراباً له طعم ولون، مع أن الأصل في الماء، أنه بلا طعم ولا لون، وسبحان الله الذي فضل بعض الماء على بعض .. هل رأيتم ؟ هي بنايات لها واجهات زجاجية لامعة وشفافة ، وهي حاجز بين إنسانين مختلفين ، الإنسان الأول يأكل ـ بالصحة والعافية ـ والثاني يتفرج عليه ، واللي ما أكل يتفرج ، والفرجة بالمجان .. وهذه.. هذه حانات وعلب ليل ، بها حنان له أجر وله أثمان، وبها شراب روحي، قليله معتق ، وأكثره (مغشوش) ، وبها

أجساد فيها أرواح ، وأكثرها جثث بلا أرواح .. وهذا الضجيج الذي أسمعه وحدي ، هو الذي يسمونه الموسيقا ، وتلك الأجساد التي تتلوى بداخل هذه البنايات (وهو يطل من خلف النافذة) ليس بها وجع أو مغص ، ولكنها فقط ترقص، أي نعم ، هي اختارت أن ترقص هكذا (وحنا مالنا ؟) وهي حرة في أن تفعل بأجسادها ما تشاء ..وهذا الليل له طقوسه ، وله زيه، وله ألوانه ـ وله سحرته وكهنته ، وله حكامه وسلاطينه ، وله حكماؤه ومجانينه ، وله جلادوه وضحاياه ، وله مشعوذوه ودجالوه ، وله إنسه وجنه، وله ملائكته وشياطينه ... (يحرك شفتيه ليقول كلاماً ، ولكنه لا يُسمع)هذا كلام حذفته الرقابة..

(تعود الحركة إلى ما كانت عليه من قبل، يخرج من الجهة نفسها التي يدخل منها المخبران القتفود والنمس ، يرتدي الرجلان معطفين أسودين طويلين جداً، ويضعان على عينيهما نظارات سوداء)

القنفـــــود : واش سمعت شنو قال هاد البشر آصاحبي ؟

النمـــــس : سمعت ..

القنفـــــود : إيوا وشنو رأيك ؟

النمـــــس : هذاك راه غير هبيل ، وكلامو ما عندو لجام ..

القنفـــــود : أنت اللي اهبيل آصاحبي وما عندك خبار ..

النمـــــس : آنا هبيل ؟ إيوا الله يحيبك على خير ، واش نسيتي باللي أنا هو النمس ؟

القنفـــــود : أبيه ، أنت هو النمس ، وآنا سماوني القنفود ، وربما غير باش يضحكوا علينا ، وداك الرجل هو عبد الله المجنون ، ولكن ..

النمـــــس : ولكن شنو ؟

القنفـــــود : شكون اللي فينا العاقل ؟

النمـــــس : احنا ..

القنفـــــود : وشكون هو المجنون ؟

النمـــــس : هو ..

القنفـــــود : متأكد أصاحبي ؟

النمـــــس : مليون فالمية أصاحبي ، وكل هاد لكلام اللي كيقولو ما عندو راس ولاأساس..

القنفــــود : أييه ، ما عندو راس ، وغير انت بوحدك ـ فهاد لبلاد ـ اللي عندك الراس ..

النمـــــس : كلامو كلو تخراف أصاحبي ، صدقني ..

القنفــــود : وعلاش ما نقولوش ، كلو معاني فمعاني، وكلو ألغاز ورموز، وخاصو اللي يعرف يقراه ؟

النمـــــس : آش عندو ما يقرا فيه ؟ الرجل احمق ومصرفق ، وغير كيخربق، وزيد على هدا كلو ، أنه حمق بالحجة والبرهان ..

القنفــــود : واش من حجة ؟

النمـــــس : عندو شهادة التخرج آ صاحبي ..

القنفــــود : التخرج ؟ أمنين التخرج ؟ من الجامعة ؟

النمـــــس : ألا ، من مستشفى الأمراض العقلية ..

القنفــــود : وهاد الشهادة ، أنت شفتها ؟

النمـــــس : أييه ، شفتها ، وعليها الطابع دالمخزن ..

القنفــــود : ايوا .. إلى كان هبيل بالشواهد ديالو، ومن عند المخزن ، ما عندنا مانقولو، إيوا يالله نشوفو ما نديرو .. (يخرجان من جهة ليدخل عبد الله المجنون من الجهة الأخرى)

عبد اللـــــه : لقد خرجا .. الأول نمس ، والثاني قنفذ أملس، وهما كائنان متلازمان ، مثل الثلاثاء والأربعاء، ذهبا إلى (الجايحة الكحلاء) (مشيراً إلى الرجلين)هما عينان اثنتان مفتوحتان على الخواء ،العين الأولى حولاء ، والعين الثانية عمشاء، ومن عول عليهما عول على (الخلاء) خلف كل شيء في هذا الليل شيء ، أو أشياء ، فخلف هذه الأضواء الساطعة واللامعة ظلام حالك ، وفي كثير من النفوس المريضة ظلام دامس، وفي قلب هذا النظام الظاهر فوضى خفية ومختفية، ووراء هذا الهدوء المزيف، عاصفة حقيقية قادمة، فانتظروا العاصفة ، وتوقعوها في أية لحظة ، ومن يزرع الريح ، هل يمكن أن يحصد إلا العاصفة ؟

(يخرج)

3 - عبد البصير، يبصر أو لا يبصر ؟

(يدخل عبد البصير الأعمى ، وهو ممتلئ فرحاً ونشوة ، يضع على عينيه نظارات سوداء ، ويمسك بعصا بيضاء يتلمس بها الطريق ، ويتأبط حزمة من الكتب)

عبد البصير : آه ، ما أجمل هذا الليل، إنه مثلي ، سلطان متوج ، وهذا القمر الذي في السماء، إنه تاجه المرصع بالجواهر والياقوت والمرجان، وهو تاجي أنا أيضاً ، وتاج كل العشاق والشعراء والمجانين والمتسكعين (ينزع النظارات، ويضعها في جيبه) هذه النظارات السوداء أصبحت تضايقني ، إنها تتحالف مع العمى ضدي ، وهذه العصا التي في يدي ،لماذا ترافقني دائماً ؟ أنا لست في حاجة إليها ، لقد مضى ذلك الزمن الذي كان ، وهذا زمن آخر (يجلس على مقعد خشبي) وأنا، ما كنت أعمى،إلا يوم كان العمى موضة ذلك العصر، وكان غريباً ومتخلفاً من ليس أعمى، ولكنه اليوم أصبح ذكرى ، وحرام علي أن أغمض العين أو أنام ، فلا عمى اليوم ولا نوم غداً، فالنوم أخو الموت ، وأخو العمى أيضاً ، وأخوالصمم، ولهذا جئت هذا الحي ، لأنه حي الساهرين وحي الفرحين،وحي الأحياء .. الأحياء حقاً وليس الموتى ولا أشباه الموتى ..

(يخرج من جيبه قلماً وأوراقاً، ويشرع في الكتابة، تدخل امرأة وهي تدفع عربة بها رضيع)

الصافيـــــة : ما أشد سواد هذه الليلة ..

عبد البصير : (يكتب) هذا الليل ليس أسود ، ولكنه رمادي ، وهو ليس لوناً واحداً، ولكنه لونان متحابان في الطبيعة وفي الحياة ، وعشقهما ليس كمثله شيء، هو بياض في سواد ، أو هو سواد في بياض .. (من غير أن ينتبه لوجود المرأة)

الصافيـــــة : إنه مظلم مثل سواد قلبي ، وطويل طويل كشقائي وعذابي

(تكلم ابنتها التي في العربة) أنت على الأقل لديك هذه العربة، وهي شبه بيت، أو هي بيت صغير في حجم الحلم الهارب، أما أنا فلا بيت لي، وإنني أنتظر حتى يأتي أبوك ، ليشتري لنا بيتاً في هذا الحي ..

عبد البصير : إمرأة قالت ، لا بيت لي، مع أن كل هذه الأرض بيتها ، ومن يسكن القلوب العامرة، أفضل ممن يسكن البيوت المعرضة للخراب ..

الصافيـــــة : يا ابنتي، لو كنت ميتة ، مثل كل الموتى ، لأعطوني بيتاً من طين وحجر ، وسموه قبراً ..

عبد البصير : (يكتب) لعبة الأسماء ماكرة، فاحذروها يا عباد الله، احذروا أقنعتها وغوايتها، هكذا تكلم مجذوب المدينة ..

الصافيـــــة : ولأنني أحيا نصف حياة أو ربع حياة، فإنني عارية كما ترين، ولا أرتدي إلا جلدي، وإذا مت غداً، وليس في نيتي أن أموت أبداً، فسوف يعطونني ثوباً بلون واحد، ويعطون لهذا الثوب اسماً واحداً، وسيقولون هو .. الكفن، وليس من حقك إلا هذا الثوب الواحد الأوحد ..

عبد البصير : (يكتب) وأنا ، عندما كنت أعمى ، لم يعطوني إلا لوناً واحداً أيضاً، وقالوا لي ليس في الحياة ، وليس في الوجود، وليس في المدن والقرى ، وليس في كل الدنيا إلا هذا اللون وحده ، والليلة أكتشف الألوان والأصباغ والأشكال، وأعرف أنهم كانوا كاذبين..

الصافيـــــة : أوصيك بالحذر يا ابنتي، وما هذه الوجوه إلا أقنعة ..

عبد البصير : (يكتب) قالت هي أقنعة ، ومضت تبحث عن وجهها بين الوجوه..

الصافيـــــة : وما هذه الألوان اللامعة إلا أصباغ كاذبة ..

عبد البصير : (يكتب) وأخذت الأصباغ ، من حقيبة يدها ، وتجملت، ونظرت إلى المرآة الصغيرة وقالت..

الصافيـــــة : لو كان هذا الزمن جميلاً ، ما تجملت له ، ولو كان سيدي يعشق روحي ما تجملت له ..

عبد البصير : من وحي هذا الليل الرائع ، وفي سكونه ، سأكتب الروائع، ونحن ما خلقنا إلا للنهار

الصافيــــة : صدقيني يا ابنتي فرح ، هذا الليل لا شيء فيه ، لا شيء ، إلا الفضائح والفظائع..

عبد البصير : إن أصعب ما في الأشياء هي البدايات دائماً ، فمن أين أبدأ مسرحيتي ؟ ومن قال إنها مسرحية ؟ فقد تكون شعراً، أو خواطر طائرة، أو قصة أو رواية أو ملحمة أو حكاية أو مجرد خرافة ، وأنا لا أدري ؟

الصافيــــة : وأخطر كل الأشياء يا ابنتي هي النهايات ، ولا شيء يقلقني اليوم ، إلا نهايتك غداً ..

عبد البصير : هل أبدأ من هذه الأنثى الفاتنة ؟ إنها تنتظر، وما أقسى الانتظار. هي عاشقة من زمن الفروسية ، إنها تنتظر حبيبها الذي سوف يأتي ..

الصافيــــة : من حقنا عليه أن يأتي ، أنت لك أب ، ولابد أن تعرفيه، وأن يعرفك،وأن يعترف بك ، وأنا لدي زوج، ولكن زواجنا تنقصه ورقة، ورقة فقط ، ويكون لك إسم في سجل الأسماء، ويكون لنا بيت ، ويكون لنا عمر نحياه مع الناس ..

عبد البصير : (يكتب) هذا زمن الأوراق .. الأوراق في الإدارات، والأوراق في المعاملات ، والأوراق حتى في المراحيض والحمامات ..

الصافيــــة : يوم مضى، تم ذلك على عجل ، ولم يكن لدينا الوقت حتى نذهب إلى عدلين،وأن نكتب زواجنا على ورقة ، وهاجر بحثاً عن لقمة خبز، وكنت أنت وحدك ، شاهدة على علاقتنا وعلى زواجنا ، كنت في أحشائي نطفة ..

عبد البصير : فارسها له إسم ، ووليدها الذي في العربة له إسم ، وقصتهم لها إسم..

الصافيــــة : هذا الرجل، لماذا ينظر إلي بهذه العين ؟ إنه يكتب كلاماً في الأوراق، ترى ماذا يكتب ؟ أيكون من رجال الحال، ومهمته أن يحصي أنفاسي نفساً نفساً ، لنهرب يا ابنتي ، قبل أن تقع الواقعة .. (تدفع عربتها وتخرج)

عبد البصير : لقد ذهبت ، أثقل عليها الانتظار، ودمر أعصابها القلق ، وكان لابد أن تفعل شيئاً ، وبلا شك، فقد راحت الآن تبحث عنه في المستشفيات، إن الطريق اليوم غير آمن ، والحوادث فيه

كثيرة، ولا أحد ينجو من الأخطار إلا من أدركته رحمة اللّه ،
أنا أيضاً ، ينبغي أن أغير هذا المكان ، وأن أذهب للبحث عن
مشهد آخر ، وأن أغير المكان والزاوية ، لعلني أكتشف في هذا
الليل الجميل جمالاً آخر

(يخرج)

4 - جوقة العميان في الطريق إلى الحان

(تدخل مجموعة من العميان وهي في معاطف سوداء طويلة جداً، يضع كل واحد منهم على وجهه نظارات سوداء ، ويمسك بيده عصاه التي يتحسس بها المكان، يمسك بعضهم بكتف البعض الآخر، يدخلون وهم يتأبطون أدواتهم الموسيقية ، مما يدل على أنهم جوق موسيقي)

عـــــــواد : (وهو يتأبط عوده) ما هذا يا صحبي ؟ لقد انطفأ الضوء فجأة ..

القصبـــاوي : (وهو يمسك الناي بيده) ماذا تقول يا أعمى ؟ ليس الضوء الذي انطفأ ، ولكنه المساء الذي عاد إلينا.. لقد عسعس الليل وأنت لا تدري ..

موســــــى : (وهو يتأبط آلة الكمان) سبحان الله ـ أقلت عسعس الليل يا صاحبي ؟ ولكن الشمس لاتزال في السماء ..

عـــــــواد : نعم ، ولكن في أية سماء ؟

فرحـــــان : (وهو يمسك بيده آلة الدف) سماء الآخرين بلا شك يا صحبي، وليس في سمائنا ، وليس من المعقول أن تكون هناك سماء واحدة ..

عـــــــواد : أحسنت، خصوصاً وأن الله سبحانه وتعالى تحدث عن سبع سماوات، وهذه التي فوقنا، هي واحدة منها فقط ، وهي الأدنى بلاشك ..

القصبـــاوي : إذاً لقد عاد المساء إلينا ، عاد من جديد ، وعلى الله أن يكون فيه الجديد ..

موســــــى : أنا ما يحيرني ، أن هذا المساء قد عاد اليوم قبل أوانه ..

فرحـــــان : يخيل إليك فقط يا صاحبي ، لأنه لا شيء يأتي قبل أوانه ..

موســــــى : وأنه لا يشبه تلك المساءات التي كانت ، والتي لم تكن بكل هذا السواد وبكل هذه القتامة ..

عـــــــواد : هذا السواد يا صحبي ، ليس سواداً عادياً، أتعرفون لماذا ؟

الجميـــــع : (بصوت واحد) لماذا ؟

القصبـــاوي : لأنه مركب من كل الألوان السوداء ، وما أكثرها، وهو بهذا

سواد على سواد على سواد على سواد ..

عـــــواد : أخبروني - الله يرضي عليكم - سواد هذا الليل الطويل، إذا أضفتم له شيئاً من سواد الوقت، وشيئاً من سواد هذه النظارات التي على عيونكم، ماذا يعطي ؟

الجميـــــع : يعطي الكارثة ..

موســــى : أما إذا أضفنا له القناطر المقنطرة من سواد النفوس المظلمة والظالمة والمقفرة ، فماذا يعني ذلك ؟

الجميـــــع : (بصوت واحد) يعني قيام القيامة ..

فرحـــــان : أما أنا ، يا أصحابي ، فإنني لا أرى الآن أية ظلمة..

موســــى : لا يرى ؟ ومتى كنت ترى من قبل شيئاً ؟ (يضحكون)

فرحـــــان : أنا لا أرى ليلاً ولا ظلمة ، وما هذه النظارات التي على عيوننا إلا من أجل أن نتقي أشعة الشمس ..

موســــى : الشمس ؟ وأين هي الشمس ؟

فرحـــــان : هي هنا ، في قلبي ، وهي هنا ، في رأسي، وهي تسري في عروقي مع دمائي الحارة ، وهي تشرق على أفكاري وحالاتي ، قبل أن تشرق على هذه الأرض ..

عـــــواد : هذا كلام الحمقى والمجانين ..

القصبـــاوي : لا ، بل هو كلام العميان .. (يضحكون)

فرحـــــان : ولم لا تقولون ، هو شطح الحكماء ، وهو كلام الشعراء (مشيراً إلى نفسه)؟

موســــى : سبحان الله ، ومتى كان الشعر أعمى يا أعمى ؟

فرحـــــان : الشعر ليس أعمى، ولا الحكمة عمياء ، وفي أقصى درجات الإبداع ياصحبي ، يكون هذا الشعر هذياناً وعربدة، وقد يكون حمى ..

موســــى : نعم، وما هذا الكلام الغريب العجيب إلا كلام الحمى ، وأحسن شيء تفعله الآن يا فرحان ، هو أن تصمت ..

عـــــواد : اسكت ، وإلا دعونا عليك جميعنا ، وقلنا ..

الجميـــــع : (بصوت واحد) الله يعطيك العمى (يضحكون)

فرحـــــان : أرجوكم ، أتوسل إليكم ، وأقبل الوحل الذي تحت نعالكم، كل شيء أقبله منكم يا أولاد الكلب إلا العمى ..

القصبــاوي : نحن جوقة موسيقية ، ونحن الآن في الطريق إلى تقديم وصلة غناء وطرب..

عـــــــواد : ولاشك أن كل الناس، في علبة الليل ينتظرون قدومنا على أحر من القهر ..

فرحــــــان : ولاشك أنهم يتساءلون، ويقولون ..

عـــــــواد : من عساه يكون ذلك العواد جميل المحيا، والذي هو أنا ..

موســــــى : (وهو يمد يده ليسلم على شخص وهمي) أنا هو موسى ، اسمي موسى ، وحتى لا يسرح خيالك بعيداً أقول لك ، أنا يا سيدي لا علاقة لي بموسى ولا بعيسى ، ولا بفرعون ولا بهامان ، ولا بكل أولئك الذين طواهم الزمان ، والذين غيبهم النسيان ..

عـــــــواد : نعم، ولكن لك علاقة بموسى الحلاقة .. (يضحكون)

القصبــاوي : فأنت يا موسى، أحد من سيف، وأمضى من شفرة الحلاقة ، ومهمتك، أن تذبح هذه الكمنجة المسكينة كل ليلة .. (يضحكون)

عـــــــواد : وأنا عواد (وهو يقدم نفسه لشخص وهمي) .. اسمي عواد ، هكذا سماني الوالد والوالدة ، وبهذا الإسم عرفت دائماً بين الناس ، حتى قبل أن أختار هذا العود ، وقبل أن أتخذه صاحباً ورفيقاً ، وقبل أن أكلمه مساء كل يوم ويكلمني، وبهذا الإسم سوف أدخل التاريخ إن شاء الله من أبوابه الواسعة ..

فرحــــــان : وأنا فرحان (وهو يمد يده باتجاه الفراغ ، ويقدم نفسه)

موســــــى : فرحان ابن من ؟

فرحــــــان : ابن غضبان.. ها ها .. أنا فرحان يا سيدي المحترم ، وعلامة فرحي أنني اخترت العزف على هذا الدف المحترم، إنني أنا الضابط في هذه الجوقة، ضابط الإيقاع يا سيدي، وحيثما نكون نحن، يكون النشاط حاضراً معنا، ونوزعه على كل الناس، بالدربوكة والبندير، حتى (يشيط الخير) ..

القصبــاوي : أما أنا ، فقد اخترت من بين كل الأسماء إسم القصباوي ، ولأنني أعشق هذه القصبة ، وأهيم فيها حباً ، فقد بادلتني حباً بحب، ووفاء بوفاء ، وجعلت مني عازفاً بارعاً وكبيراً وعظيماً وعبقرياً، وأدخلتني سجلات التاريخ، وكتبتني مع الخالدين ..

موســـــــى : ولعنة الله على الكاذبين ..

فرحــــــان : سبحان الله ، لقد تعود النفخ في القصب ، وهو اليوم ينفخ في كل شيء .. (يهتزون من شدة الضحك)

عـــــــواد : أما أنك عازف على الناي ، فهذا ما لا جدال فيه يا صاحبي..

فرحــــــان : وأما أن تكون عازفاً بارعاً ، وأن تكون من الأولين ومن النابهين ، فتلك مسألة فيها نظر ..

القصبــاوي : فيها نظر ؟ ها ها ، ومن أين يأتيك النظر يا عديم النظر؟ (يهتزون ضحكاً)

فرحــــــان : من أين يأتيني النظر ؟ أستعيره من خالتك العمياء ..

عـــــــواد : والآن، يا أصحابي ، ويا أهل الفن الغالي، ما رأيكم، دام عزكم، لو نستعيد شيئاً من الجد، و نذهب إلى العمل الذي ينتظرنا .. ؟

فرحــــــان : ليمسك إذاً ، كل أعمى بصاحبه ، ولنتوجه إلى العلبة الليلية..

موســـــــى : تمسكوا بي، وسأدلكم عن الطريق، فأنا ـ ولا فخر ـ أقلكم عمى، (يخرجون وهم يغنون ويعزفون ، ويهتزون في شبه رقص)

5 - معروف يسأل عن مجهول ..

(يدخل معروف، وهو يحاول أن يجد من يسأله، يتعقبه المخبران القنفود والنمس، من غير أن يحس بوجودهما)

القنفـــــود : أنت يا هذا ، آش عندك ؟ وعلاش كتقلب ؟

معـــــروف : أنا ؟

النمـــــس : أييه أنت ، شفناك تايه ودايخ ، وغير كتدور، وياك لاباس آولد الناس ؟

معـــــروف : ما لاباس والو، أنت كتسولني على اللي عندي ، وأنا كنقلب على اللي ما عنديش ..

القنفـــــود : راه بغينا نعرفوا ـ أنا وهاد صاحبي هدا ـ أشنو عندك فداك الراس ؟

معـــــروف : أشنو عندي ؟ عندي سؤال واحد ، سؤال ما كبير ما صغير، ما طويل ما قصير ، ما واسع ما عريض ، ولاهو صعيب ولا خطير ..

النمـــــس : صاحبي القنفود ، أسمعت آش قال هاد خونا ؟

القنفـــــود : أسمعت ، قالك عندو سؤال خطير ..

معـــــروف : وهاد السؤال هذا ، إلى عرفت جوابو، غادي نفرح، ونكون سعيد ، سعيد ، سعيد ..

القنفـــــود : صاحبي النمس ، أسمعت آش قال عاودتناني ؟

النمـــــس : أييه ، قالك إلى لقى داك الشي اللي كيقلب عليه ، غادي يكون سعيد ..

القنفـــــود : سبحان الله ، ولى ما لقاهش أصاحبي ، آش غادي يكون ؟

النمـــــس : آش عندو كاع ما يكون، إلى ما كانش سعيد، غادي يكون الجيلالي ولا عبد القادر ، ولا ميمون ولاعباس ..

القنفـــــود : ما قلتلناش ، اعلاش كتقلب ؟

معـــــروف : كنقلب على صديق ، قالوا لي شافوه فهاد الحي ، في حالة غير حالتو الطبيعية..

النمـــــس : وانت يا لفضولي ، وبلا عكز عليك ، جيت تشوف آش عندو، ياك؟

معـــــــروف : أبيه ، جيت نتأكد من كلام بعض الناس اللي قالوا شافوه ، مع أنه ـ وبحسب ما كنعرف ـ موجود من سنة ، فبلاد الهجرة ..

القنفـــــود : وصاحبك هذا ، اشنو اسميتو ؟

معـــــــروف : اسميتوبن هدي ..

النمـــــــس : (يخرج من جيبه مذكرة صغيرة ويقرأ) بن خدي .. بن جدي، بن سعدي ، بن رشدي ، بن زهدي ، بن عدي .. أما بن هدي هدا ، راه ما كاينش فالحي، ولا حتى فالمدينة ..

معـــــــروف : متأكدين ؟

النمـــــــس : مليون فالمية ، وليه المخزن كيلعب آولد الناس ؟ (يدخل عبد الله المجذوب وهو يكلم نفسه)

عبد اللـــــه : يا أعمى البصيرة وأعمى البصر ، الغائب موجود، هنا أو هناك ، وغداً سوف نقول ، حضر المنتظر ..

معـــــــروف : آش كيقول هذا ؟ ومع من كيدوي ؟

النمـــــــس : هذا ياسيدي ما كيقول والو ..

معـــــــروف : ما يمكنش ..

القنفـــــود : راه مع المجانين كل شي ممكن آصاحبي ..

عبد اللـــــه : كذب كل الناس ، وصدق روحك وقلبك ، إن من نسأل عنه، قد يكون على بعد خطوة ، أو أقل من خطوة ، ونحن لا ندري.. (يخرج)

معـــــــروف : إلى سمحتوا لي عافاكم ، راه عادي بعض الأسئلة لقليلة ، بخصوصكم انتما، شكون تكونوا انتما ؟

النمـــــــس : آه يا عدو الله ، عرفتك ..

معـــــــروف : شنو عرفت في ؟

النمـــــــس : باغي تخرج لي لساني من فمي ياك ؟

معـــــــروف : والله العظيم ما ..

القنفـــــود : قالك ما ، آسكت ، واعرف مع من كتدوي ..

معـــــــروف : مع من كندوي نعم آس ؟

النمـــــــس : راك مع المخزن ..

معـــــــروف : أنا ما باغي والو ، والله العظيم ما باغي غير السلامة ..

النمـــــــس : وعلاش كتسولني ؟ علاش ؟ باغي تخرج لي لساني ياك ؟ ما

حشمتيش آعدو الله ، باغي تخرج لسان المخزن ؟

معـــــــروف : اسمح لي يا آسيدي، ما يسحابليش انتما هما المخزن ..

القنفــــــود : عرفتها .. عرفتها ..

معـــــــروف : شنو عرفت نعم آس ؟

القنفــــــود : باللي كذبوا عليك هادوك ..

معـــــــروف : هادوك ؟ هادوك شكون نعم آس ؟

القنفــــــود : الناس دلبولتيك ، ولازم راهم قالوا ليك باللي أنا ثرثار وصاحبي مهذار ، وأنه عزيز علي نكشفوا الأسرار ..

معـــــــروف : ألانعم آس، وحرام واش يكون هاد الشي ..

النمـــــــس : عرفتك آعدو الله شنو بغيتي ..

معـــــــروف : أنا ما بغيت والو ..

النمـــــــس : باغي نقولو ليك بيللي احنا ـ القنفود وآنا ـ خدامين مع المخابرات السرية ، أدوي ؟ إيوا والله العظيم آخويا لا قلناها ليك ..

معـــــــروف : وعلاش ما تقولوها ليش ؟ واخا حنا وللينا دابا صحاب ، وشركنا تقرقيب الناب ؟

القنفــــــود : آسيدي السربيس سربيس ، احنا اعطاونا مهمة خطيرة وقالوا لينا ، ردوا بالكم ، وحل عينيكم مزيان ، وها هما عينينا محلولين ، هانت شوف ..

معـــــــروف : راني كنشوف ..

النمـــــــس : وقالوا لينا طرطقوا ودنيكم مزيان ، وعندكم يمشوا يفيقوا بيكم القومان ، وسمعوا لخبار، وحافظوا على الأسرار ، وعنداكم تمشيوا تقولوها لشي واحد ..

معـــــــروف : أييه ، ما تقولوها لحتى لشي واحد ، إلا أنا ..

القنفــــــود : إلا انت ؟ وعلاش انت بالذات ؟

معـــــــروف : لأنني أنا ، ماشي واحد ..

النمـــــــس : ماشي واحد ، وشنو انت ؟

معـــــــروف : أنا غير نص واحد ..

النمـــــــس : آه ، إلى كان هكذا ما كاين مشكل .. أنا حتى واحد ما يمكن يديرها بي ..

معـــــــروف : لا باين ..

القنفـــــود : وحتى أنا بحالو، راني مطور، ومجبد مزيان، وكنطير فالسما، أنا عفريت ومسخوط، وعليها راهم سماوني القنفود..

عبد البصير : أهلا وسهلا بصاحبي القنفود (يمد له يده ليصافحه)

القنفـــــود : وهذا صاحبي النمس ، أسمح لي ، راه باقي ما ولينا صحاب، وقبل كل شي، لازم نعرفوا، شكون انت ، ومنين انت، وشنو كتدير فالخدمة ديالك ؟

معـــــروف : أنا ؟

النمـــــس : أييه ، أنت ..

معـــــروف : أنا معروف ..

النمـــــس : أنا كتسولك على سميتك ..

معـــــروف : اسميتي معروف ..

القنفـــــود : سبحان الله ، مع أننا ما كنعرفوكش

معـــــروف : وكتعمل مروض الأسود فواحد السيرك ..

النمـــــس : إيوا .. ها ها .. فرق كبير بيناتنا حتى نوليو صحاب ، أحنا راه صحاب المخزن إلى ما عندك خبار..

معـــــروف : كنعرف، أنتما صحاب المخزن ، ولكن آنا راه صاحب السبع، إلى ما عنكم خبار ؟

القنفـــــود : إلى كان هكذا راحنا صحاب ..

النمـــــس : اصحاب واحباب ، واخوت (يخرجان ، ويبقى معروف وحده)

معـــــروف : سبحانك يا الله ، وشكون يفهم هاد خلق الله ، من غيرك يا الله ؟ راهم احترموني وقدروني وخافوا مني ، واصبحت منهم وصاحبهم وحبيبهم وواحد منهم ، وهاد الشي كلو مناش ؟ لأنني نافقتهم وكذبت عليهم، وقلت ليهم كندرب السبوعة .. (يضحك) أنا معروف المتلوف ، قراد الحلقة ، في الساحات الضيقة، ووليت صاحب السبع ، وكرمني الله من حيث لا أدري، وصبحت صاحب المخزن ..قاليك الصدق حبو الله ، ولكن الكذوب على الكذابين والمنافقين كيخرج مولاه.. هما صدوني، وهذاك شغلهم ، ولكن أنا ، واش حتى أنا نصدقهم، ونقول بن هدي ما كاينش فهاد الحي ؟ كنت حاير ، ومازال باقي حاير..

(يخرج)

6 - أنت يا أنت، من أنت ؟

(يدخل عبد البصير من جديد ، وهو يمسك بأوراقه وكتبه ، يعود إلى المقعد نفسه الذي جلس عليه أول مرة)

عبد البصير : سكون هذا الليل يغري بالكتابة، وجمال هذه الدروب يغري بالتسكع، وبعد حصة من المشي ، لابد من هذه الاستراحة ، ولابد من لحظة للتأمل الهادئ ، الله الله، ما أروع الليل هذا ، إنه يبهج العين ، ويريح الروح ، وربما لهذا غنى المغني (يغني) يا ليلي .. يا عيني

(يطل عليه النمس والقنفوذ من خلف حاجز ما)

النمـــــس : واش سمعت اللي اسمعت أنا آصاحبي ؟
القنفـــود : أييه، اسمعت اللي اسمعت انت ..
النمـــــس : هاد الرجل كان أعمى ، وما بقاش عمى ، وكل شي هاد الشي، بلا خبار المخزن ..
القنفـــود : آجي انقربوا لعندو ونشوفو آش كاين .. (يقتربان منه)
النمـــــس : آمولاي ، آلزين ، آمرضي الوالدين ، قبل ما تجلس وتغني ، وتقول ليلي يا عيني ، قل لينا بعدا ، اشكون أنت ؟
عبد البصير : من أنا ؟
القنفـــود : آييه .. هي هديك .. شكون انتما سيادتكم ؟
عبد البصير : أنا هو أنا ، أما عرفتني ؟
النمـــــس : لا ، اسمح لي، ما عرفتكش ..
عبد البصير : أنا هو الذي ، والذي .. آه ، كم يلزمني من الكلام، حتى أعرف بنفسي، وكم يلزمك أنت من الوقت حتى تعرفني ..
القنفـــود : واشحال صعيب هاد الإنسان ..
عبد البصير : أكيد أنك لا تعرفني، ولو كنت تعرفني ما سألتني ..
النمـــــس : وكيف نعرفك، وآنا ما عمرني شفتك ؟
عبد البصير : يا سبحان الله، تقول لا تعرفني ، مع أنك تعرف الله يا صاحبي، أليس كذلك؟

النمــــــس : اييه كنعرف الله ..

عبد البصير : وهل رأيته يا هذا ؟

النمــــــس : آش كيقول هذا لهبيل ؟

عبد البصير : هل رأيت؟ إنه ليس شرطاً أبداً، ألا نعرف الناس والأشياء ، إلا إذا رأيناهم بالعين ..

القنفــــــود : ما علينا ، وشنو سميتك آمولاي الفيلسوف ؟

عبد البصير : إسمي عبد البصير ..

النمــــــس : ولد من ؟

عبد البصير : ولد أبي ، رحمة الله عليه، وأبي إسمه عبد السميع ..

القنفــــــود : واسميت امك ؟

عبد البصير : إسمها أسماء ، وهي بهذا ليست إسماً واحداً، ولكنها كل الأسماء (يضحك)..

النمــــــس : من قبل هاد الساعة فاين كنت ؟

عبد البصير : قبل هذه الساعة لم أكن ، وبعد هذه الساعة لن أكون ، وما أنا إلاساعة ، ولو قلت غير هذا ، لكنت كاذباً ..

القنفــــــود : آش كيقول هذا ؟

عبد البصير : أنا ساعة ، صدقني، تأتي ثم تمضي، وتدور مع الفلك الدوار، وأنت مثلي ، ومثل كل عباد الله ، ساعة ..

القنفــــــود : (يضحك) ألا آسيدي أنا ساعة وربع ، ويمكن نكون ساعتين وللا اكثر ..

عبد البصير : هي ساعة، إذا كنا فيها تضحكنا ، كما تضحك أنت الآن ، وإذا غادرناها ، تبكي الآخرين علينا ..

النمــــــس : إيوا ، وفاين بالسلامة راك ماشي ؟

عبد البصير : أنا لن أمشي إلى أي مكان ، مادام أن هذا المكان هو كل الأمكنة ، والمهم يا سيدي أنني هنا ..

القنفــــــود : أييه ، هادي عرفناها، وعلاش أنت هنا ؟

عبد البصير : ولم لا أكون هنا ؟ أنا يا سيدي هنا ، وأنت هنا ، وكلنا هنا، ولا أحد فينا يدري لماذا هو هنا ..

النمــــــس : وا كلام هذا ، أشكون علمك هاد الهلسفة ؟

القنفــــــود : من قبل شفناك أعمى ، وكان عندك فيدك عكاز ..

النمـــــــس : ودابا تحللو ليك العينين آلجن ..

القنفـــــود : وكل شي هادا ، بلا خبار المخزن ، قل اشكون أنت ؟

النمـــــــس : أنت ممثل ياك؟ قلها ولا تخف ..

عبد البصير : كلنا في مسرحية الوجود ممثلون ..

النمـــــــس : ياك انت هو اللي كنت أعمى ؟

عبد البصير : أنا ما كنت أعمى ، ولكن بعض الناس هم الذين رأوني أعمى ، وبعضهم الآخر، هم الذين أرادوا أن أكون أعمى ، ومصيبتي أنني صدقتهم ، وأغمضت عيني ، وكان كل ذلك بلا معنى ..

القنفـــــود : أبيه ، ومن بعد آش كان ؟

عبد البصير : عرفت أنهم خدعوني، وتيقنت بأن جمال هذا الوجود يحتاج إلى مليون عين وعين ، وليس إلى عينين اثنتين فقط ..

النمـــــــس : وكفاش حتى ، حن عليك الله ، ووليت بحالنا كتشوف ؟

عبد البصير : كنت مصراً على الرؤية فرأيت ..

القنفـــــود : وصافي ؟

عبد البصير : رأيت يوم كنت أعمى ، ورأيت يوم طلقت العمى ، وعلمت أن في المبصرين مثلكما ..

النمـــــــس : مثلنا ؟

عبد البصير : كثير من العميان، ومن الصم والبكم ، ومن المقعدين والمعوقين.. لقد حاصرتني الظلمة أعواماً طويلة، حاصرتني وقاومت ، وسدت كل منافذ النور في وجهي وناضلت ..

النمـــــــس : (لصديقه) صاحبي ..

القنفـــــود : أم ؟

النمـــــــس : اسمعت ؟ خونا كيتكلم على المقاومة وعلى النضال ..

عبد البصير : وكان الضوء الذي في قلبي أكبر وأقوى ، ولذلك انتصرت، لقد رأيت ، وأبصرت ، وما نريده لابد أن يكون ..

القنفـــــود : سبحان الله ، والإرادة بوحدها تكفي ؟

عبد البصير : نعم تكفي ، تكفي وزيادة .. لقد سمعت من يقول، إن الكائنات التي تزحف على بطنها، هي الكائنات التي لم تفكر في الطيران..

النمـــــــس : آش كيقول هذا آصاحبي؟

عبد البصير : ولو أنها فكرت فيه، وأرادته، وعشقته، لنبتت لها أجنحة، ولطارت في السماء، ولحلقت مع الطيور المحلقة ..

القنفـــــود : صاحبي.. ياللّه نمشيو نديروا شي حاجة أخرى..

النمـــــس : وللحديث بقية..آلسي الفيلسوف (يخرجان)

7 - المرأة التي تمشي على أرض تمشي ..

(تدخل المرأة من جديد ، وهي تدفع عربتها وتتغنى بلحن حزين، تقترب من عبد البصير)

عبد البصير : يا أيتها المرأة التي تمشي وتغني ..

الصافيـــــة : إنني فعلاً أمشي ، على أرض تمشي ، في زمن يمشي ، ولكنني لا أغني ..

عبد البصير : لا تغنين ؟ عجباً ، وماذا تفعلين إذن ؟

الصافيـــــة : ما أفعله لا أجد له إسماً ، سمه أنت إذا كنت تعرف ..

عبد البصير : (يعود إلى المقعد الخشبي ، ويجلس) هذه امرأة غامضة ، ربما لأنها عاشقة حتى الجنون ، وهل هناك جنون بغير غموض ؟

الصافيـــــة : (تكلم نفسها) قال لي في خطابه ، انتظريني هنا ، خارج حينا القصديري ، وليتني كنت أعرف لماذا ، لماذا في هذا الحي الذي ليس حينا ، وليس هناك، هناك بين أهلنا التعيسين ؟ (يدخل المجذوب، من غير أن يلتفت إلى المرأة)

عبد اللـــــه : هو الذي يعرف كل شيء ، نعم هو وحده ، وليس أنت ولا أنا ، ولا أي واحد فينا ..

الصافيـــــة : هو الذي يعرف ؟ من يقصد الرجل ؟

عبد اللـــــه : صاحبي ومولاي وسيدي ، والذي هو هنا وهناك ، ولا يخلو منه أي مكان ..

الصافيـــــة : يا الله . هذا رجل مجذوب ، وما أظنه ينطق عن الهوى .. وليته يكلمني ، ويحدثني عن مصيري ومصير ابنتي في هذه الليلة المرعبة ، ولكنه ـ لسوء حظي ـ لا يكلم إلا نفسه ..

عبد اللـــــه : من تنتظرين أن يأتي يا امرأة ..

الصافيـــــة : هل سمعت يا فرح ؟ لقد التفت إلي وقال، أبوك سوف يأتي ، الليلة بلاشك يا مولانا ؟

عبد اللـــــه : ومن قال إن عمر هذه الليلة هو ليلة واحدة ؟ إنها الدهر كله .. تنتظرين المهدي المنتظر، أليس كذلك؟

الصافيـــــة : إسمه بن هدي ، وليس المهدي ..

عبد اللـــــه : لست أنا من يخلط بين الأسماء ، ولكنه هو يا امرأة ؟

الصافيــــة : ماذا ؟ أقلت هو يا مولانا ؟

عبد اللـــــه : وليس هو وحده فقط ، ولكن معه عصبة كبيرة ، وكل واحد فيهم يرى نفسه المنتظر، ويقول أنا المهدي ..

الصافيــــة : وأنا لا أنتظر إلا بن هدي ، وطلب مني أن ألقاه هنا ، في هذا الحي الفاخر ، ولست أعلم لماذا ؟

عبد اللـــــه : أنت لا تعلمين، ولكن زوجك هذا، يعلم لماذا ..

الصافيــــة : وطلب مني أن أصطحب معي ابنتي فرح ..

عبد اللـــــه : نعم، ومرة أخرى لا تعرفين لماذا ؟

الصافيــــة : قلت ، مع نفسي ، ربما كان ينوي أن يدعونا إلى العشاء ، في أحد هذه المطاعم الفاخرة ..

عبد اللـــــه : ربما ، ربما نعم ، وربما أيضاً لا ..

الصافيــــة : ليتني يا ابنتي فرح ، كنت أعرف ،فيمَ يفكر أبوك ؟

عبد اللـــــه : أبوها لا يفكر يا امرأة ..

الصافيــــة : لا يفكر ؟

عبد اللـــــه : وما حاجته للتفكير، وهناك اليوم من يفكر له ، ومن يفكر لغيره ؟ والذين يفكرون عادة يا سيدتي، يفكرون في الظلام ، ربما لأن الظلمة تساعد على التركيز أكثر.. (يقول آخر كلمة ويخرج)

الصافيــــة : الظلام ؟ أنا لم أفهم كلامك يا سيدي ، تعال فهمني ..

عبد اللـــــه : (يطل عليها) وأنا أيضاً ، وحق الله ، لا أفهم من كلامي إلا ما تفهمين أنت، وما يمكن أن يفهم كل الناس .. (يختفي ، يدخل الحاج لمفضل ، وهو رجل بدين ، يرتدي جلباباً ناصع البياض ، ويضع على رأسه طربوشاً أحمر اللون، ويمسك بعصا ، يمشي بزهو كبير، ورأسه إلى السماء ، كل شيء فيه يوحي بأنه من الأغنياء ومن الأعيان) الحاج لمفضل أجمل ما خلق الله هو الإنسان ، وأروع ما خلق الإنسان هو هذه الملابس ، إنها تعطي الذات حجماً خرافياً ، وإذا أضفت الأسماء الكبيرة إلى مثل هذه الأثواب ، فإنه لابد أن تصبح محترماً مثلي ، ولا شيء أهم من أن يقدرك الناس ، وأن يحسبوا لك ألف حساب..

عبد البصير : من يكون هذا الرجل ؟ ما أظنه إلا أحد الأغنياء ، وقد جاء ليحرق ماله في الملاهي .. (وهو يخرج ، يلقى في طريقه عبد الله المجذوب داخلاً)

عبد اللـــــه : (وهو ينظر جهة المفضل) أول مرة رأيت هذا الرجل ، كان له إسم آخر ، وكان له زي آخر ، وكانت له مشية أخرى ، وسبحان مغير الأسماء في دنيا الأسماء ..

عبد البصير : (وهو يكتب في كراسة) وجاء إلى الحي رجل غريب ، رجل يمكن أن أسميه ـ مؤقتاً ـ ماذا أسميه يا ربي ؟ ماذا أسميه ؟

عبد اللـــــه : يا عبد البصير، سمه ما شئت من الأسماء، ولا تخف ..

عبد البصير : إنه يعرف اسمي ..

عبد اللـــــه : وكل أسماء ذلك الرجل مؤقتة ، واسمه الحقيقي لا يعرفه إلا الله والمخزن ..

عبد البصير : صوت هذا الرجل ليس غريباً علي ، وكم سمعته يوم كنت أعمى ، آه ، تذكرت، إنه صوت عبد الله المجذوب ، واليوم أراه صورة وصوتاً ..

عبد اللـــــه : يخيل إليك فقط يا عبد البصير ، أنت اليوم لا تراني ، ولا ترى أي شيء، وكما كنت من قبل أعمى ، فإنك مازلت أعمى ..

عبد البصير : ماذا تقول يا عبد الله ؟ إنني فعلاً أرى ، وأحاول أن أكتب ما أرى ..

عبد اللـــــه : أتكتب مسرحية يا عبد البصير ؟

عبد البصير : نعم ، وهي من وحي هذا الواقع ، أو قل أحسن ، هي الواقع نفسه ..

عبد اللـــــه : وعن أي واقع تبحث يا عبد البصير ؟ عن ذلك الذي حدث يوماً، والذي وقع وكان ، وأنت لم تعشه ، ولم تره ، ولم تعرفه ؟ أم عن ذلك الواقع الآتي، والذي هو الساعة في رحم الغيب ، والذي لا تعرف عنه أي شيء ؟

عبد البصير : أعترف لك يا عبد الله ، أن هذه الأسئلة أكبر مني ، وما أنا إلا رجل كان أعمى ، وأصبح مبصراً ..

عبد اللـــــه : ولم لا يكون العكس هو الصحيح يا عبد البصير ؟

عبد البصير : يكون العكس ؟ كيف ذلك يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أقول لك كيف يا عبد البصير، أنك كنت مبصراً ، وأصبحت اليوم أعمى ..

عبد البصير : لا لا ، أنا مبصر يا عبد الله ، والدليل والحجة، هو أنني أرى، وأكتب ما أرى..

عبد اللـــــه : ولكن ، ما تكتبه الآن يا عبد البصير ، لم يكن ..

عبد البصير : أنت تمزح بلاشك يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : وما سوف يكون غداً ، لا يمكن أن يكتبه كاتب من الناس ..

عبد البصير : ومن يكون الذي .. سوف يكتبه ؟

عبد اللـــــه : (ينظر إلى السماء ، ولا يقول أية كلمة)

عبد البصير : أسألك يا عبد الله، بأي لون أكتب هذه المسرحية ؟ بلون الفرح الأبيض ؟ أم بلون الموت الأسود ؟ أم بلون العيش الرمادي ؟

عبد اللـــــه : أكتبها بلون الماء ؟

عبد البصير : وهل للماء لون يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : اكتبها بلون الحياة ، واجعلها ضاحكة بدمع ، ودامعة بقهقهات عالية ، إن الإنسان له عينان ، لا تنس هذا يا عبد البصير، عين يضحك بها ، وعين يبكي بها .. هو يضحك ويبكي بالوجه نفسه ، وفي اللحظة نفسها، وما هذا العمر إلا لحظة هاربة.. هاربة مثلي (يخرج مسرعاً، يدخل المخبران من الجهة الأخرى ، وهما يلاحقان عبد الله ببصرهما)

النمـــــس : اسمعت لكلام لمهلسف كفاش داير أصاحبي ؟

القنفـــــود : اسمعت ، حقاً ، هذا الرجل ماشي عادي ، وكلامو غريب شي شوية ..

النمـــــس : ما شي غير شويه آصاحبي ، آقول غريب بزاف ..

عبد البصير : هذا رجل مبروك ومجذوب ، وكلام المجذوب ليس كلامه دائماً ..

القنفـــــود : ليس كلامه ؟ وكلام من هو آصاحبي ؟

عبد البصير : كلام الآخر الذي فيه ، وهو، ليس في كل الأحوال هو ، وما هو، إلا حال وأحوال ، فمرة، يكون هو الذي يتكلم ، ومرة أخرى يكون الآخر هو الذي ينطق بداخله ، أو هو الذي ينطقه بما يشاء ..

النمـــــــس : سبحان اللّه ، ما عمرني ظنيت باللي الرجل يمكن أيكونو فيه زوج دالناس..

عبد البصير : نعم ، هو جسدان اثنان ، الأول هو الجسد الساكن ، والثاني هو الجسد المسكون ..

النمـــــــس : وشكون ايكون ساكنو آصاحبي ؟

عبد البصير : ماذا أقول لك ؟ هو جني بلاشك ..

النمـــــــس : بسم اللّه الرحمن الرحيم

عبد البصير : وقد يكون الجني ذكراً ، وقد يكون أنثى، وقد يكون خنثى ، وقد يكونان معاً ، الذكر والأنثى ، ويكون معهما الأولاد والأحفاد ، وقد يكون للزوج أم ، وتكون له حماة أيضاً ..

القنفـــــــود : واسبحان اللّه ، ودابا هاد الجن ، ولا هاد الجنية ، ولا الدرية ديالهم، ما لقاو فين يسكنوا غير فهاد السي عبد اللّه مسكين؟

النمـــــــس : أزمة السكن بلاشك آصاحبي ..

القنفـــــــود : العجب هذا ، ودابا حتى هما بحالنا ، عندهم أزمى فالسكنى؟

النمـــــــس : ايوا هاد الشي اللي كيظهر آصاحبي ..

عبد البصير : وعليه، ومن باب النصيحة ، فإنني أوصيكما به خيراً، وأقول لكما ـ ودائماً من باب النصيحة ـ ابتعدا عنه هذا الرجل .. ابتعدا عنه بالقدر الذي تستطيعان ..

النمـــــــس : إيوا ، إلى كان الجن ، اللي هو الجن ، ما قدرش يحل هاد المعضلة الخطيرة، واللي هي أزمة السكن ، كفاش بغينا يحلها البشر ، واللي هو غير بشر مسكين ؟

القنفـــــــود : المخزن معذور أصاحبي ، وهاد الناس غالطين ، وغالطين بزاف .. يا اللّه ، نمشيو نقلبوا على ما نشوفوا ، وعلى ما نسمعوا، وعلى ما نقولوا ..

النمـــــــس : ياللّه آصاحبي (يخرجان)

8 - الشيخ والمريد والطريق ..

(يدخل عبد الله مسرعاً كعادته ، وكأنه يبحث عن شيء ، أو عن أحد من الناس ، أو كأنه مطارد من جهة ما)

عبد اللــــــه : هذه الجدران العالية، وهذه الأبواب وهذه النوافذ، إنها تخفي الذنوب والمعاصي ، وهذه الأجساد التي ترتدي الأقنعة والأزياء، إنها تخفي الجثث، وهذه الحياة التي نرى ، أو لا نرى، والتي تسعدنا وتشقينا، هذه الحياة الكاذبة لا تخفي شيئاً آخر إلا الموت، إنني أشم رائحة الموت..

عبد البصير : (وهو يكتب) لقد حضرت يا عبد الله ..

عبد اللــــــه : وهل غبت من قبل حتى أحضر الآن ؟

عبد البصير : هل أنت حقاً مجذوب يا عبد الله ؟

عبد اللــــــه : يا هذا، الجنون إشاعة، وقد يكون تهمة ، أو يكون وشاية كاذبة، أنا لست من الدراويش ولا من المجاذيب ، ولا من أهل الشطح والردح، ولا من أصحاب الجهالة والبطالة ، وما أنا إلا إنسان يرى ويبصر ، وعندما يرى، يفكر في الذي يرى ، ولا يقدر أن يكتم حقيقة ما يرى .. إنني في الأصل بصر وإرادة ، وعندما أريد شيئاً، أمشي إليه ، وأنا أقول ، إن الطرق القصيرة يا عبد الله ، تطيلها المنعرجات الكثيرة والكبيرة ..

عبد البصير : أنت رجل غريب يا عبد الله ، وليتني كنت أفهمك ..

عبد اللــــــه : أنا رجل مشاء، وأنت رجل قاعد ، وكيف تريد أن تفهمني، أو أن تفهم هذا العالم الذي يجري ؟

عبد البصير : ولماذا لا تكف عن المشي يا عبد الله ؟

عبد اللــــــه : إنني أهرب من سجن هذا المكان ، وأهرب من قيد هذه اللحظة، وإنني لا أستطيع أن أقيم إلا في المشي، وفي التجوال، وفي السفر والترحال، وحتى عندما أغفو، أو أنام لحظة، فإنني أمشي أيضاً، ولا أحلم نفسي إلا سائراً على الأرض أو محلقاً في السماء ..

عبد البصير : ولو عرضت عليك أن أكون مريدك ، فهل تقبل يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : وأنا ، لو عرضت عليك أن تمشي في طريقي، هل تقدر ؟

عبد البصير : هل أقدر ؟ إنه لا يمكن أن أعدك بشيء ، ولكنني سأحاول ..

عبد اللـــــه : حاول أن ترى أولاً يا عبد البصير ، وجاهد من أجل أن ترى بشكل صحيح، وأن تتحرر من عماك ومن صممك ومن جهلك ومن قيدك ومن مكانك ومن لحظتك ، وأن تكون مشاءً مثلي..

عبد البصير : نعم، وبماذا تأمرني الآن يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أنا ؟ أنا لست الآمر يا ولدي، ولست الناهي ، وما الأمر إلا لصاحب الأمر..

عبد البصير : حدثني عن أجمل الموتى ، من هو ؟

عبد اللـــــه : هو من يموت بعد أن يحيا ، وهو من يموت مؤمناً بأنه سوف يحيا، وهو الذي يظل دائماً هو هو ، ينقضي العمر ويمضي، ويبقى هو ..

عبد البصير : وأسوأ الموتي يا شيخي ، من عساه يكون ؟

عبد اللـــــه : هو من يموت بعد أن يموت ، ومن يعيش عيشاً يشبه الموت ، وهو من يكفن ويدفن، ويكون ذلك عصراً ..

عبد البصير : أي عصر تقصد يا شيخي ؟

عبد اللـــــه : عصر اليوم أولاً ، وعصر التاريخ ثانياً ، وعصر العمر ثالثاً، وعصر الأبدية رابعاً ..

عبد البصير : ولو خيروك يا عبد الله ، ماذا كنت تختار ؟

عبد اللـــــه : أختار ذاتي ، ومعها أختار الحق والحقيقة ، وأختار الجمال والإكتمال ..

عبد البصير : وأيهما تفضل يا شيخي ، أن تكون جندياً عادياً في جيش منتصر ، أو أن تكون قائداً كبيراً في جيش منهزم ؟

عبد اللـــــه : لا أحب الهزيمة ، ولا أريد أن أقترب من المنهزمين ..

عبد البصير : وأيهما تختار، أن تكون الأول في الجحيم ، أو تكون الأخير في النعيم ؟

عبد اللـــــه : ماذا أقول لك؟ أفضل أن أكون الأول ، ولا يهمني بعد ذلك ، أين يكون ذلك ، في الجنة أو في النار..

عبد البصير : وهل تريد أن تكون الأول دائماً ، وفي كل شيء ، وفي كل الحالات؟

عبد اللـــــه : نعم ، في كل شيء .. إلا في شيء واحد ..

عبد البصير : وما هذا الشيء يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : إنه الموت .. إنني أحب أن أكون أول من يحيا وآخر من يموت..

عبد البصير : بحسب رأيك، من هو الإنسان الأعمى في نظر الناس؟

عبد اللـــــه : هو من يرى نفسه ولا يراهم ..

عبد البصير : ومن أيضاً ؟

عبد اللـــــه : وهو الذي يخالفهم، ويرى غير الذي يرون، والذي لا يفكر كما يفكرون..

عبد البصير : هل تريد أن تصبح غنياً يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أريد فقط أن أكون من أصحابي ، والذين هم أغنى كل الأغنياء، وأسعد كل السعداء ..

عبد البصير : من تقصد يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أقصد الذين يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف ..

عبد البصير : وبماذا تنصح الفقير مثلي يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أنصحه ألا يتملق الأغنياء ..

عبد البصير : وبماذا تنصح الأغنياء ؟

عبد اللـــــه : بألا يأكلوا رزق الفقراء .. يا عبد البصير، إنني لا أنتظر من الأغنياء أي شيء - ولكنني أتوقع من الفقراء كل شيء ، لأن الفقر كافر وابن كافر ..

عبد البصير : بعض الناس كرماء يا عبد الله ، ولكن بالوعود فقط ، فما قولك في هذا ؟ أليست الكلمة الجميلة صدقة ؟

عبد اللـــــه : الوعود جميلة يا ولدي ، وأجمل منها الوفاء بها ، ومن أين يأتي الوفاء في غير زمن الوفاء ؟

عبد البصير : أنت تنطق بالحكمة يا عبد الله ..

عبد اللـــــه : يحدث لي أحياناً أن أنسى الكلام ، ويسألني أهلي وصحبي ويقولون ، هل ضيعت لسانك يا عبد الله، وأصبحت أبكم وأخرس ؟ وأقول لا ، أنا فقط ضيعت ذاكرتي، أو هي التي ضيعتني، وأصبحت أجوف من الداخل ، وأجد نفسي مضطراً لأن أتعلم اللغة من جديد ، وأن أبدأ من نقطة الصفر، وأن

أستعيد ذلك الذي كنته يوماً ، والذي كان أصدق مني ..

عبد البصير : وهذا البلد يا عبد الله ، هل فيه عدل ؟

عبد اللـــــه : نعم ، فيه عدل والله ..

عبد البصير : وما دليلك على ذلك ؟

عبد اللـــــه : دليلي أن فيه وزارة كبيرة للعدل ..

عبد البصير : وماذا غير الوزارة ؟

عبد اللـــــه : وفيه وزير محترم للعدل ، وفيه محاكم وقضاة ومحامون ، وكل هذا، ألا يكفي ؟

عبد البصير : يكفي وزيادة ..

عبد اللـــــه : اشتقت إلى المشي ، ما رأيك أن نمشي معاً يا عبد البصير ؟

عبد البصير : المشي معك ، كالإنصات إليك ، شيء جميل يا سيدي .. (يخرجان) (يدخل الشحاذ درهمان وهو يسوق دراجته الهوائية)

درهمـــــــان : صدقة لله يا محسنين ، أعينوا هذا الضرير الفقير ..

(يدخل المخبران القنفود والنمس)

النمـــــــس : سبحان الله، أعمى ويسوق الدراجة ..

درهمـــــــان : أنتم ما رأيتم غير الأعمى اللي كيسوق الدراجة، وغاب عنكم، اشحال من اعمى اللي كيسوق أمة ..

القنفـــــود : (وهو يقترب من درهمان) يمكن لي نعطيك أيها الشحاذ هذه الورقة المالية (يلوح له أمام عينيه بورقة مالية)

درهمـــــــان : ما هذا الشي الذي بيدك يا محترم ؟

القنفـــــود : ورقة مالية محترمة ..

درهمـــــــان : الله الله ، ورقة زرقاء ، من قبيل المائتي درهم المحترمة، هذا يوم العز الأكبر.

القنفـــــود : هادي شفتها يا ولد الكلب ..

درهمـــــــان : رأيتها بقلبي ، والله العظيم، وقلبي صادق دائماً .. ها ها ..

القنفـــــود : وغير بقلبك؟

درهمـــــــان : وشممتها بأنفي أيضاً ، أنا رجل شمام ، وكنشم في الدرهم

الألف والألفين ، ولو كانوا على بعد يومين ..

النمـــــس : أنت ضرير ولكن كتشوف ؟

درهمـــــان : أحياناً فقط، أنا أعمى ، بحال كل العميان في هذا الزمان ، ولكنني أشم دائماً ..

القنفـــــود : وحنا في حاجة إلى هاد الموهبة يا صاحبي ؟

درهمـــــان : أية موهبة ؟

القنفـــــود : موهبة الشم ، قل لي بعدا ، واش تقبل تشتغل شمام بحالي؟

درهمـــــان : أفكر أولاً ، وأجيبك ثانياً ، ، والأجر يا صاحبي شحال ؟

النمـــــس : مرتفع جداً جداً ..

درهمـــــان : اشنو نقولك ؟ لا أفكر يا صاحبي، وأقبل من الآن وأمري إلى الله .. (يضحكون) ولكن، بشرط أن أحتفظ بحرفتي الأصلية؟

القنفـــــود : واشمن حرفة ؟

درهمـــــان : حرفة الشحاذ الأعمى ..

القنفـــــود : طبعاً طبعاً ،لأنها هي الأصل ، وهي القناع ، وهي الزي الذي كيخفي اللعبة.. (لصديقه) صاحبي ، وللينا حتى احنا كنتكلموا بحالو ..

درهمـــــان : الله يستر، تبهدل الزمان ، حتى أصبحنا حتى احنا، مثقفين على آخر ايامنا ..

القنفـــــود : الآن، وقد أصبحنا زملاء، ابغيت انسألك ، ونتمنى أن تجاوبني بكل صراحة..

درهمـــــان : بصراحة ؟ بصراحة مطلقة يا صاحبي، أولا غير، نصف نصف ؟ راه كل حاجة بثمنها ..

القنفـــــود : (بالعامية) أنت ووجهك آصاحبي ..

درهمـــــان : وأي وجه من وجوهي تريد، وأنت كتعرف بأنني شحاذ ، وأن للشحاذ المحترف ألف وجه وجه ..

النمـــــس : باغي انسألك، واش أنت بالحق أعمى ؟ قلها وخذ مائة درهم أخرى ، حلال عليك ..

درهمـــــان : أنا ؟ هاها .. أنا رجل مبصر، ولكن ، أعماه الفلس وأعماه الدرهم ، وأعماه الدينار والدولار ..

النمــــــس : آه ، هذا الشي اللي كنت كنعرف ، إذن فأنت في الأصل مبصر آصاحبي ؟

درهمـــــان : وكلنا في الأصل مبصرون يا صاحبي ، ولكن المال أعمانا أعمانا كلنا ، فمنا من أعماه كثيراً، ومن أخرسه ، وأنا ـ ولا فخر ـ منهم، وفينا اللي غيرعورو ، أولا غير حولو فقط ، أو أصابه بعمى الألوان، وأنا، بحمد الله ، ماشي منهم .. (يمتطي درهمان دراجته وينطلق ، يخرج المخبران وهما يضحكان)

النمــــــس : رد بالك أدرهمان ، عنداك تمشي تدوز فيك شي طريق عميا..

9 - جوقة العميان في زي الإيمان ..

(تدخل مجموعة العميان من جديد، ولكنها هذه المرة في زي مختلف ، بعض أعضاء المجموعة يستكملون لبسهم ، يرتدون الجلاليب البيضاء، ويلفون على رؤوسهم العمائم ، ويساعدون بعضهم بعضاً في تركيب اللحى، يظهرون هذه المرة أكبر سناً ، ويحاولون الظهور بمظهر الورع والوقار)

القصباوي : لقد غيرنا الأزياء ، وهذا لا يكفي يا أصحابي ..

موسى : كيف لا يكفي ؟

القصباوي : إنه لابد أن نغير الحالات أيضاً ..

عواد : وسوف نغيرها إن شاء اللّه ، اطمئن، سنغيرها ..

القصباوي : لقد علمتنا المهنة، أن نعرف ، أن لكل حالة لبوسها ..

فرحان : نعم ، لها لبوسها ، ولها قناعها أيضاً ، والويل الويل لمن ليس له قناع في مأدبة الضباع..

القصباوي : حفل السكارى له زيه الخاص يا أصحابي ..

موسى : وقد كنا فيه منذ قليل ، وأدينا نمرتنا ، وأطربنا ، وعزفنا ، وغنينا حتى بحت حناجرنا..

فرحان : وشطحنا، و(ردحنا) وأضحكنا الحمقى علينا ، وقدمنا مشاهد بهلوانية من فن الحلقة . .

عواد : ثم أعطونا رزقنا ، وخرجنا ، وها نحن الآن هنا ..

القصباوي : وطقس المؤمنين الصالحين له زيه..

موسى : ونحن الآن من المؤمنين الصالحين ..

عواد : أليست لديكم لحية غير هذه ؟ (وهو يمسك لحية بيده)

القصباوي : وهذه (مالها) ؟

عواد : انظروا ، إنها أكبر من وجهي ..

القصباوي : وربما كان وجهك أصغر منها (يضحكون)

عواد : إنني أرتدي في اللحية مقاس أربعين ..

موسى : وهذه اللحية المباركة، ما هو مقاسها ؟

عواد : أظنه ـ واللّه أعلم ـ يفوق الخمس والخمسين ، أو التسع والتسعين (يضحكون)

القصبـــاوي : هذا كل ما لدينا، ولقد اكتريت لكم هذه اللحى من فرقة مسرحية ، وهذه اللحية هي التي أدى بها الممثل محمد التسولي دوره التاريخي في مسرحية (أولياء الله وأعداء الله) ..

فرحـــــان : وأي دور مثل بها ا لمعلم ؟

موســـــى : دور أبي مسيلمة الكذاب (يضحكون)

فرحـــــان : ونحن كلنا اللية ، سنؤدي أدواراً مشابهة ..

القصبـــاوي : لا تضيعوا الوقت ، خذوا (يوزع عليهم المسبحات) ما هي إلا ساعات من العمل ، وسوف تعودودون إن شاء الله تعالى إلى وجوهكم القبيحة وإلى عاداتكم السيئة ..

موســـــى : من كثرة الوجوه التي ارتديناها ، ضيعنا وجوهنا الحقيقية ..

القصبـــاوي : ومتى كانت لكم وجوه حقيقية يا أولاد الحرام ؟

عـــــواد : متى ؟ ربما عندما كنا في بطون أمهاتنا .. (يضحكون)

موســـــى : هذه هي مهنتكم ، ومصيركم هو هذا، والقبض على الخبزة الهاربة ليس سهلاً ..

القصبـــاوي : أنت (لموسى) ستتكفل بأمر هذه المبخرة النحاسية ..

موســـــى : إن شاء الله ، وسأجعلها تقول وهي تغني (أنا وحدي انضوع لمكان ، أنا وحدي انضوع لمكان)

القصبـــاوي : أما أنت .. (لفرحان) فمهمتك أن تتولى هذه (البنادير) وأن تبحث لها عن (مجمر) كبير ، وأن تنفخ في جمره ، وأن تتولى تسخينها كلما بردت ، هل سمعت ؟

فرحـــــان : نعم فهمت ..

عـــــواد : يعلم الله ، كيف نبدو الآن لمن يرانا ؟

موســـــى : نبدو وكأننا هربنا من التاريخ ، أي من زمن كليب بن ثعلبة ، أو أننا في شهر رمضان الأبرك ، وقد خرجنا ـ اللحظة ـ من مسلسل ديني ..

عـــــواد : والله صدقت يا أبا صندلة ، ولكن دون هذه النظارات يا أخانا في الله (وهو يحاول أن ينزع له نظاراته)

موســـــى : كل الحكمة في هذه النظارات يا مغفل (وهو يعيد النظارات)

القصبـــاوي : أيها الناس، رجاء أن تمنحونا شيئاً من الانتباه ، وأن تتحلوا بالفضيلة وبالأخلاق الحسنة ، وأن تتجنبوا اللغو ، وأن تكونوا

في مستوى اللحظة التاريخية ..

موســــــى : (لفرحان بهمس) لدي شعور وكأننا أمام طارق بن زياد ، وأن اللحظة هي لحظة العبور الأكبر ، إن الشهادة قادمة لا ريب فيها ..

فرحـــــان : اللّه يستر ، إنني لا أعرف فن العوم يا صاحبي ..

موســــــى : (ماعليهش) يكفي أن تعرف فن الغوص ..

القصبـــاوي : أنتم الذين تعودتم على إقامة الأفراح والليالي الملاح ، في الأعراس والمواسم ، وفي الأندية الليلية تحت الأرض ، وفي الكباريهات المشبوهة ، ستجدون أنفسكم في أجواء روحانية مختلفة ..

فرحـــــان : (لموسى) هذا امتحان عسير يا صاحبي ، وأنا ما أخرجني من المدرسة ، ورمى بي إلى هذه الحرفة الملعونة إلا الامتحانات ..

موســــــى : تجمل بالصبر ، أوصيك بالصبر ثم الصبر، واعلم أن اللّه معنا ..

القصبـــاوي : سندخل بيتاً طاهراً إن شاء اللّه ..

عـــــــواد : إنك تخيفنا آلمعلم ، نحن ما تعودنا أن ندخل البيوت الطاهرة..

القصبـــاوي : ولكننا هذه المرة سندخلها ..

عـــــــواد : (لنفسه) مؤكد سندخلها، ولكن ، هل سنخرج منها سالمين ؟

موســــــى : آلمعلم ..

القصبـــاوي : أنا لست (المعلم) الذي تعرف ، هل تفهم ؟ وهذه الكلمة دعها للأعراس ، ولمجالس اللهو والعربدة ، أما هذه الليلة ، فهي ليلة الإيمان، وليلة الذكر ، وليلة الإنشاد الروحي ..

فرحـــــان : مرة أخرى أقول اللّه يستر ..

موســــــى : طيب ، من الآن لن نقول لك المعلم ، ولكن ، في مقابل هذه الكلمة المشبوهة والملعونة ، ماذا نقول لك آ .. لمعلم ؟

القصبـــاوي : قولوا الشيخ .. قولوا مولانا .. قولوا سيدنا .. قولوا لمقدم ، وإذا تناديتم فيما بينكم، فلا تقولوا إلا أخي في اللّه ، وألا تتحدثوا عن شيء، وإلا وتقولوا إن شاء اللّه ، هل سمعتم ؟

عـــــــواد : سمعنا، إن شاء اللّه ..

فرحـــــان : وحتى هذا العدو اللدود أقول له أخي (مشيراً إلى موسى)

موســــــى : رغماً عنك ، فأنت من الآن أخي ، وأنا أخوك إلى إشعار آخر، أنت أخي عبد التواب، وأنا أخوك عبد المولى، وأما أبونا فهو المدعو إبليس (النحيس) (يضحكون)

القصبـــاوي : نحن ذاهبون الآن إلى طقس ديني ..

فرحـــــان : وهذا الطقس يا مولانا ، أليس فيه عربدة ؟

القصبـــاوي : فيه عربدة روحية يا ولدي ..

موســــــى : وخمرته يا مولانا ، كيف هي ؟ وبأي لون هي ؟

القصبـــاوي : سألتهم عنها فقالوا ، هي خمرة ربانية سماوية ، ليس لها لون، وليس لها طعم ، وليس لها رائحة ..

عـــــــواد : خمرة سرية إذاً يا مولانا ؟

القصبـــاوي : نحن ذاهبون إلى حفل ديني ، روحي ، تقيمه نسوة من أهل الله ، تقرباً من الله ، ومن حبيبنا رسول الله ..

جميعـــــــاً : صلى الله عليه وسلم ..

القصبـــاوي : ولقد أكرمنا الله تعالى ، ووقع الاختيار علينا ، دون كل خلق الله، في كل بلاد الله ..

موســــــى : الحظ أعمى ..

فرحـــــان : أنت هو الأعمى يا .. أعمى ..

القصبـــاوي : وإذا هدانا الله ، فمن هذه الليلة سنغير حرفتنا ، وسنتوجه إلى الذكر وإلى الأمداح وإلى الإنشاد الصوفي ، وهل تعرفون لماذا وقع الإختيار علينا ؟

عـــــــواد : لماذا ؟

فرحـــــان : لأن سمعتنا الطيبة في عين الذئاب وصلت إلى كل الناس ..

القصبـــاوي : لا ، بل لأننا فقط عميان ، ولأننا لا نرى ..

موســــــى : (لنفسه) ومتى كان العميان لا يرون ؟

القصبـــاوي : سندخل إن شاء الله بيتاً محترماً ، يفيض بالإيمان وبالتقوى، وسنكون قريبين جداً من نسوة محجبات ، يرين وجوهنا الملتحية ، ولا نراهن ، ولا نسمعهن، وسيسمعن شدونا ، ويطربن لإنشادنا ، ولا شيء غير هذا ..

فرحـــــان : هذه مهمة ليست سهلة أبداً ، ماذا أقول لكم يا إخوتي في الله؟

اللّه يستر ، ويخرج العاقبة على خير ..

القصبـــاوي : وأعود مرة أخرى ، وأكررها من جديد، إن المهمة فعلاً ليست سهلة ، ولكنها مفيدة ومربحة ومجزية ، وستخرجون منها - إن شاء اللّه تعالى - سالمين غانمين ، وجيوبكم ممتلئة حتى التخمة ..

عـــــــواد : (لنفسه) ليته يكون صادقاً ..

القصبـــاوي : سنكون أمام نسوة ، من غير ذلك الصنف الذي تعرفون ، نسوة صالحات ، متعبدات ، طاهرات ، عفيفات ، قانتات ..

موســـــــى : وما معنى قانتات يا مولانا ؟

القصبـــاوي : واللّه يا ولدي ، لا أدري ، ومن قال في الناس لا أدري ، علمه اللّه ما لا يدري ، لقد سمعناهم يقولون فقلنا ، هذا كل ما في الأمر ، وفي البداية والنهاية، فأنا لست فقيهاً ، وما أنا إلا (جوايقي) مثلكم والسلام ..

فرحـــــــان : وماذا سوف نغني لهن يا .. مولانا ؟

القصبـــاوي : قلنا ، نحن لن نغني ، ألا تفهم ؟

موســـــــى : سننشد لهم نشيداً صوفياً ، سماوياً ، اسمه (السماوي . اللّه يداوي)

الجمـيـــــع : (وهم يعزفون ، ويغنون ، ويرقصون) السماوي اللّه يداوي أصحاب الحال ..

القصبـــاوي : لا لا ، قلت لن نغني ، ألا تفهمون ؟ سننقر على الدفوف فقط، وسنقوم بالإنشاد، وسنحرص إن شاء اللّه ، على أن يكون الجو ربانياً، تحضره الملائكة وحدها ، وتغيب عنه الشياطين..

عـــــــواد : تغيب عنه الشياطين، ونحن أخطر الشياطين، ولافخر ..

فرحـــــــان : (لنفسه) اللّه يستر ، هذه مغامرة انتحارية ، فإما أن تكون (ربحة) وأن تكسبنا الأجر مع اللّه والعباد ، وإما أن تكون (ذبحة) وأن ترمي بنا إلى (قعر) الواد ..

القصبـــاوي : على بركة اللّه إذاً ، وليتحرك الموكب الرباني ..

(يخرجون وهم يرددون الأمداح النبوية)

10 - هي التي تميل وليس أنا ..

(يدخل بحار، وهو في حالة عربدة ، يتمايل ، وهو يغني)

البحـــــــار : سأغني ، وأغني، وأعرض على الخلائق إبداعي وفني (يغني) يا ليلي ، يا عيني (يتوقف عن الغناء) يا أيها الليل ، أتسمعني؟ إن كنت تسمعني ـ كما أسمعك ـ فغن معي ، غن معي ، وقل للنجوم التي في السماء أن تغني معي، وقل للبحر أن يغني ، وقل للموجة الهاربة أن تغني ، قل لها (يغني) يا موجة غني ، عالبحر غني .. (تدخل الصافية ، تتأمل البحار من بعيد)

الصافيـــــة : هذا الرجل ليس هو ..

البحـــــــار : يا ليل، ألف مرة قلت لك، أنا لست هو، وهو ليس أنا ، وكل واحد له أناه، وهو حر في أن يفعل بها ما يشاء .. (يدخل المخبران)

الصافيـــــة : ولا أحد في هذين الرجلين الغامضين يشبهه ..

البحـــــــار : لا أحد في هذا الليل يمكن أن يشبه إلا نفسه ، ومن حاول أن يكون غيره ، فإنه لابد أن يضيع روحه ، وأن يفقد نفسه .. (تخرج الصافية، يقترب المخبران من البحار)

النمــــــس : أنت أيها الرجل ، علاش ما كتمشيش بحال عباد الله كاملين؟

البحـــــــار : وكيف يمشي عباد الله (كاملين) ؟

النمــــــس : هكذا (يمشي بطريقة آلية) برجولية ونخوة، وبكل رصانة وتوءدة..

البحـــــــار : أهكذا تسير دائماً ؟

النمــــــس : دايماً، هاك شوف، حل عينيك وشوفني مزيان وآنا كنمشي، مرفوع الهامة..

البحـــــــار : جميل، جميل جداً ..

النمــــــس : ومنتصب القامة ..

البحـــــــار : أما أنا، فإنني أمشي كما تمشي الأيام يا صاحبي ، انظر جيداً، وتأمل، واستفد (وهو يمشي على أطراف أصابع قدميه

ويتمايل ، وكأنه يرقص الباليه)

النمـــــس : امش امقاد ، اعلاش كتتمايل ؟ علاش ؟

البحـــــار : لست أنا الذي أتمايل يا صاحبي ..

النمـــــس : كفاش ماشي انت، وانا بعيني شايفك، وانت كتحيل وتميل؟ آدوي ، واشكون يكون من غيرك انت ، اشكون ؟

البحـــــار : (بهمس له) أقول لك ولا تقول لأي أحد ؟

النمـــــس : واغير قول، وعليك الأمان ..

البحـــــار : (بهمس) الأرض ..

النمـــــس : شنو قلت ؟

البحـــــار : هذه الأرض هي التي تدور يا صاحبي ، وليس أنا ، وهي التي تميل، مرة إلينا ـ إذا شاءت ـ وملايين المرات إلى غيرنا ..

النمـــــس : الأرض كتدور ، وبلا خبار المخزن ؟

البحـــــار : الله أعلم ..

النمـــــس : هادي معلومة مهمة وخطيرة ، ولازم نسجلها .. (يخرج كراسة وقلماً ويكتب)

البحـــــار : سجلها .. هذه الأرض تدوريا صاحبي ، وتتمايل ، وقد يحدث أن ترقص رقصاً شرقياً أيضاً ، وأن تهز البطن هكذا .. (حركة رقص)

النمـــــس : هكذا ؟ (بحركة رقص) وبلا خبر المخزن ؟

البحـــــار : تماماً ، وأن تهز الأرداف والأكتاف أيضاً ..

النمـــــس : وآ لفوضى هادي ، هكذا ؟ (يهز كفيه وردفيه)

البحـــــار : تماماً، ويمكنك أن تسجل هذا بكل أمانة ، وأن تضيف أن هذه الأرض غير مستوية ، وأنها منحرفة ..

النمـــــس : شنو منحرفة ؟ يعني سلكوطة ؟

البحـــــار : تماماً ..

النمـــــس : وكل شي هادا بلا خبار المخزن ؟

البحـــــار : وتريدني يا صا حبي أن أمشي من غير أن أتمايل ؟

النمـــــس : لا غير تمايل انت .. انت ما عليك كلام ..

البحـــــار : الأرض غير مستوية يا صاحبي ..

النمـــــس : هادي سجلناها ..

البحـــــــار : والأيام غير مستوية ..

النمـــــــس : حتى الأيام ؟

البحـــــــار : وأرزاق الناس أيضاً، غير مستوية ولا متساوية، والويل الويل لمن لا يميل مع الأيام والليالي والأمواج التي في البحار هكذا ، ولا يدور مع الساعة ، ساعة بعد ساعة (يدور حول نفسه مثل الدراويش) ولمن لا يرقص كما ترقص الشيخات المشبوهات في الأماكن المشبوهة ..

النمـــــــس : هكذا .. (يرقص)

البحـــــــار : تماماً .. الله يرضي عليك ، تفهم في كل شيء (آلعفريت) ؟

النمـــــــس : والآن، وبعد ما أصبحنا أصدقاء ، واش يمكن نعرف اسمك؟

البحـــــــار : اسمي ؟ (يضحك) هل تصدق ؟ لقد ضيعت اسمي، وحق الله ، وبرغبتي وإرادتي ضيعته أو ضيعني ، كل ما أعرفه أنني بحار، ومؤقتاً ، يمكن أن تسميني الرايس ، وإذا شئت الدفة ، سمني الناسي..

النمـــــــس : الناسي ، هذا اسم رواية ولاّ مطلع أغنية ؟

البحـــــــار : لا أذكر يا صاحبي ، وما أنا الآن إلا حالة من الحالات ، حالة عابرة وطائرة .. حالة فرح أو حالة انتشاء ، أو حالة وجد ، أو حالة تحلل وفناء في هذا الهواء ، دعني من كثرة الأسئلة ولا تفسد علي نشوتي..

النمـــــــس : وفاين هي البطاقة آلرايس ؟ بطاقة التعريف ديالك ؟

البحـــــــار : لا ، ليست لدي بطاقة ، ولا صورة ، وإنني أسألك، ألا أجد في جيبك مرآة صغيرة ؟

النمـــــــس : مرآة ؟ ولاش بغيتي المرآة آ صاحبي ؟

البحـــــــار : أريد أن أرى هذا الوجه الذي أحمله في رأسي ، لأعرف من أكون..

النمـــــــس : لعجب هذا ، انسيت حتى اسميتك آ صاحبي ؟

البحـــــــار : وهل دخلت هذه الحان ، ثم خرجت منها ، إلا لأنسى ؟ لقد دفعت ثروة كبيرة في مقابل هذا النسيان الجميل ، ألا تشعر أنت أيضا ، ولو في بعض المرات، أنك في حاجة لأن تنسى شيئاً، أو تنسى كل الأشياء، وأن تبدأنفسك من الصفر، وأن

تكون من تشاء ، وأن تصنع بحياتك ما تريد ؟

النمـــــس : والله ، شنو نقولك ؟ بحال هاد الأسئلة هادي ، راها كبيرة علي، وبزاف آصاحبي ..

البحـــــار : تسألني عن اسمي، وأقول لك، لقد جئت متأخراً قليلاً يا صاحبي، ولو جئتني قبل ساعتين، لوجدتني حاضراً، ولعرفتك بنفسي، ولقلت لك ، أنا فلان اين فلان، ولكنني الآن في حال الغياب ، إنني الآن لست هنا ، وأنا لست أنا ..

النمـــــس : كفاش لست هنا، وانت هنا ؟

البحـــــار : وما عليك يا صاحبي ، سوى أن تؤجل سؤالك إلى الغد ، وإذا لقيتني، فإنني سأجيبك .. سلم لي على أم الأولاد، وعلى كل الأولاد ، ذكوراً وإناثاً .. (يخرج البحار الناسي من جهة ، ليدخل لمفضل من الجهة الأخرى)

لمفضـــــل : (بلهجة آمرة) آش كتديروا انتما هنا ؟

النمـــــس : أحنا ؟

لمفضـــــل : أبيه ، أنتما ، وياك ما تكونوا باغيين شي صدقة ؟

القنفـــــود : ألا نعم آس ..

لمفضـــــل : أنا فهاد لبلاد هادي ، راني من الناس المحسنين لكبار ، إلى ما عندكم خبار..

النمـــــس : (نفسه) هذا ظاهر عليه يدو طويلة ، وكلمتو مسموعة ..

لمفضـــــل : إلى كان خاصكم الخدمة قولوها ، راه الخدمة ـ والحمد لله والشكر لله ـ ما كاينه غير هي .. إيه ، وعنداكم تكونوا غالطين ، وتديروا بحال شي وحدين، وتمشيوا توقفوا أمام أبواب المسؤولين ، وتديروا الفوضى فالبلاد، وتقولوا أجمعين ، الشواهد ها هي ، والخدمة فاين هي ..

النمـــــس : لا احنا خدامين نعم أسيدي ..

لمفضـــــل : (لنفسه) سعداتكم ..

القنفـــــود : وخدامين بالنية والمعقول ، جمعة وسبت وأحد، وصباح وعشية ، وفكل وقت ، نعم آسيدي ـ تلقانا حاضرين وناظرين ..

لمفضـــــل : الله يرضي عليكم ، وهكذا نبغيكم تكونوا دايماً وأبداً ، أنا عزيز علي ناس المعقول وناس الجد والمثابرة بحالكم ..

النمـــــــس : (وهو محرج) سمح لينا نعم آس ، راه بغينا سولولوكم ، أشكون انتما سيادنكم ، ولكننا ـ كما كتشوفوا ـ راحنا حشمانين ومحرجبن ..

لمفضـــــــــل : عندكم الحق تكونوا محرجين أيها المساكين ، وعندكم الحق تسولوا شكون احنا في أرض رب العالمين ..

القنفـــــــود : (في حياء مفتعل) وما تاخذهاش منا قلة الصواب نعم آس

لمفضـــــــــل : أحنا فهاد لبلاد السعيدة هادي ـ والحمد لله والشكر لله دائماً، شي حاجة كبيرة ، وكبيرة بزاف ، والدليل هو هذا .. (يدور حول نفسه ليريهما زيه) هذا هو العنوان يا إنسان ، والعنوان يغني عن السؤال ..

القنفـــــــود : وشنو سميتكم نعم آس ؟

النمـــــــس : وشنو كتعملوا فالمهنة ؟ التجارة ولا السياسة ؟ الاستيراد والتصدير ولا البناء؟

لمفضـــــــــل : راه الليل باقي طويل ، ومازال نتلاقاو، ومازال عندي فراسي ما نحكي ليكم، كل شي بأوانو، ولما يجي الوقت، غادي نقولوا ليكم بالتفصيل الممل ، أشكون احنا .. (وهو يخرج) نتلاقا وبعد قليل ..

(يخرج المخبران وراءه من غير أن يشعر بهما)

11 - العميان بعد الليلة ..

(يدخل العميان ، وهم يهتزون من شدة الضحك)

موســــــى : ويلي ويلي ، هل تعرفون أين كنا ؟

فرحـــــان : كنا في الجنة ، أو على أبواب الجنة ..

عـــــــواد : لا ، بل كنا في النار يا صاحبي ، أو كنا بين الجنة والنار، ونحن لا ندري ..

القصبــاوي : أما أنا فأقول، كنا في ليلة حلم..

فرحـــــان : فعلاً ، كنا في حلم يا أولاد الحلال

القصبــاوي : يا الله، ليت ذلك الحلم كان أطول قليلاً ..

موســــــى : أما أنا فأقول، كنا في مسرحية ..

فرحـــــان : ها ها ، وأنت متى شاهدت المسرح يا أعمى ؟

موســــــى : لن أرد عليك أيها الأمي ، كنا في مسرحية غريبة عجيبة ، من ذلك المسرح الذي يسمونه اللامعقول ..

القصبــاوي : غير معقول ، مسرحية داخل مسرحية ، كيف تفسر هذا ؟

عـــــــواد : ولماذا تريد أن تفسر كل شيء ؟ قل كانت ليلة من ألف ليلة وكفى ..

موســــــى : أحس يا أولاد الحلال ، وكأنني أخرج اللحظة من التاريخ ، ما رأيكم لو نعود من حيث خرجنا ؟ (وهو يهم بأن يعود من حيث أتى)

القصبــاوي : إلى أين أيها الأحمق ؟ الليلة انتهت ..

موســــــى : نعم، ولكن المسرحية باقية يا أولاد الحلال ..

القصبــاوي : قل سبحان الله ، وافتح عينيك ، لقد راح الليل وهذا صباح يوم جديد ..

موســــــى : هذه الليلة لا يمكن أن تنتهي ، وإنني أراها بحجم الأبدية ..

فرحـــــان : لقد أكلنا، وشربنا ، ونقرنا على الدفوف، وأنشدنا حتى بحت أصواتنا ..

عـــــــواد : بدأنا الليلة بنشيد (طلع البدر علينا)

موســــــى : وختمناها ب (طلع الفجر علينا)

عـــــــواد : وأين هو الفجر يا أعمى والقمر مازال في السماء ؟

القصبـــاوي : وأخذنا أجرنا ، وزيادة ..

فرحـــــان : وجمعنا هذه (البنادير) وخرجنا ..

عـــــــواد : (ينزع نظاراته السوداء ويرمي بها بعيداً) لقد رأينا العجب في غير شهر رجب ..

موســــــى : (يرمي بنظارته هو أيضاً) ولو كنا عمياناً حقاً ، ما رأينا شيئاً، ولفاتنا أن نرى ما تفعل المحجبات الصالحات..

فرحـــــان : (وهو يرمي نظاراته) من حسن حظنا أن العمى ليس إجبارياً في عالم الخيال والاحتفال ..

عـــــــواد : .. ولو كان إجبارياً ، ما اكتشفنا نفاق الناس في دنيا الناس..

القصبـــاوي : لقد رأينا، رأينا ، وتحررت عيوننا المعتقلة ، واكتشفنا، وليس من رأى كمن سمع ..

فرحـــــان : ألا ترون ، أنه لو كنا عمياناً حقاً ، لكان ذلك أحسن ؟

موســــــى : أحسن ؟ أحسن بالنسبة لمن ؟

فرحـــــان : بالنسبة لمن ؟ لست أدري .. بالنسبة للعبة الوجود ولعبة الحياة، ولعبة الأحياء ..

القصبـــاوي : ولو من وراء الزجاج ، ورغم هذه النظارات السوداء (ينزع نظاراته السوداء ، ويضعها في جيبه) فقد رأينا ما لا عين رأت، ولا خطر على بال أعمى ..

عـــــــواد : لقد صدقن بأننا لا نراهن ، فمارسن حريتهن ..

فرحـــــان : تلك يا صاحبي لم تكن حرية ..

عـــــــواد : نعم، وماذا كانت ؟

فرحـــــان : كانت فوضى، وكانت معصية ، وكانت تهتكاً وفجوراً وشذوذاً، وكانت نفاقاً وكذباً على الله وعلى الناس المحترمين (مشيراً إلى نفسه) ..

موســــــى : وما فعلناه نحن ، ماذا تسميه أيها الفقيه المحترم ؟

عـــــــواد : كان (أكل عيش) يا صاحبي ..

القصبـــاوي : نحن كنا في عالم ، والنسوة الصالحات كن في عالم آخر، كنا ننشد الأذكار ، ونصلي على النبي المختار، وكانت الحاجة ميلودة ، مع الحاجة نور العيون ترقصان التانغو ..

موســـــــى : نحن نمدح النبي ، ونقول يا جاه النبي، وهن يعاقرن النبيذ ..

فرحــــــان : على الأقل، ونحن في العلب الليلية ، وفي الكباريهات ، يكون غناؤنا من جنس ما يفعل الناس ، ونجد الناس صادقين مع أنفسهم ومع الله ..

عـــــــواد : وأجمل ما فيهن ـ يا أولاد الحلال ـ قدودهن التي تميل يميناً وشمالاً، وتدور وتتلوى كما تتلوى الأفاعي ..

القصبــاوي : وأجمل من قدودهن ملابسهن الغالية ، إنها على موضة باريس ولندن ..

موســـــــى : تلك لم تكن ملابس يا صاحبي ..

القصبــاوي : وماذا كانت ؟

موســـــــى : سمها ما تشاء من الأسماء ، إلا أن تكون حقاً ملابس ، فهي أثواب حرة، مفتوحة على كل الجهات ، وكأنها لم تعرف الخيط والإبرة ..

القصبــاوي : تلك هي الموضة هذه الأيام يا صاحبي ، ألا تعرف هذا ؟

موســـــــى : أية موضة ؟

القصبــاوي : موضة أمنا حواء ، والتي هي أقدم موضة أخرجت للناس ..

عـــــــواد : سبحان الله ، كان الأصل في اللباس أن يستر العورة ، فأصبحت مهمته أن يكشفها للعيون ..

فرحــــــان : ورنات الأساور الذهبية ، هل سمعتموها ؟ لقد كانت موسيقا ساحرة ..

موســـــــى : سبحان الله ، من يمكن أن يصدق هذا ؟ نساء محجبات، ومبرقعات ، ومع ذلك فقد استطعنا ، نحن العميان ، أن نراهن ؟

فرحــــــان : وهذه واحدة من معجزات رب العالمين (يضحكون)

القصبــاوي : هل رأيتم الحاجة غيثة وهي ترقص ؟

الجـــميـــع : رأيناها ..

موســـــــى : لقد (حزمت) وسطها ، وفكت أسر شعرها، وألقت بحذائها بعيداً ، و ركزت، ولوزت ، ما رأيكم في رقصها ؟

فرحــــــان : فعلاً هي موهبة خارقة، وأين منها سامية جمال ؟

عـــــــواد : إن مثل هذه المواهب المحجبة ، هي التي ضاع فيها شارع الهرم،

وخسرتها علب الليل في الكورنيش ..

فرحـــــــان : ما قولكم ـ دام نفاقكم ـ أن نقضي ما تبقى من هذا الليل، في هذا المطعم الفاخر؟

عـــــــــواد : هي فكرة ليست حسنة ، وإنني أستغربها من رجل سيء مثلك..

موســـــــــى : وأنا أقول ، مادام كاين الرزق ، اعلاش مانديرهاش ؟

القصبـــاوي : على بركة اللّه ..

(يدخلون المطعم ، وقد استعادوا زيهم الأول)

12 - كيف سألقاه ؟

(تدخل الصافية ، وهي تدفع عربتها ، تنظر في كل الجهات ، وقد أعياها الانتظار)

الصافيـــة : إنني أشعر أنه هنا ، نعم ، هو الآن هنا ، أو هو فريب جداً من هنا ، وإحساسي صادق في حال القلق دائماً .. يا الله ، بأي وجه ألقاه؟ ليتك كنت تتكلمين يا فرح ، لتساعديني على أن أتجمل له ، وأن تخبريني ، إن كان أبوك سيتعرف علي بسرعة؟ لا أظن يا فرح ، لا أظن، فسنة من الغياب ليست قليلة ، ثم إن اللقاء في ظلمة هذا الليل، ليس مثل اللقاء في واضحة النهار، ثم إن الوقت متأخر جداً ، وقد نكون على مشارف الفجر .. (من الجهة الأخرى يدخل لمفضل ، وهو في كامل طاووسيته)

لمفضـــل : الناس كلهم كيحترموننا ، والحمد لله على كل حال ، والبركة كلها في الجلابة والبلغة ، وفهاد النخوة ، إيوا الله لا يخطي علينا النخوة.. (يدخل المخبران القنفود والنمس ، ويقتربان منه)

النمـــس : (وهو ينحني في احترام شديد) مرة أخرى ، كنجدوا التحيات، ونقولوا نعم آس ، مساء السعد والخيرات ..

لمفضـــل : بسم الله الرحمن الرحيم، عاودتاني انتما؟ واش انتما هما انتما ولا كاين منكم شي وحدين اخرين ؟

القنفـــود : وعلاه نعم آس ؟

لمفضـــل : اعلى حقاش ، فاين ما درت نلقاكم قدام وجهي ، وبغيت نعرف، اشنو هي طلباتكم آلولاد ؟

النمـــس : بسيطة نعم آس ، بغينا غير نعرفو، انتما شكون انتما ؟

لمفضـــل : ساهلة ، وما كاين ما سهل منها ..

النمـــس : بغينا نخدموكم، ونكونوا عند السمع والطاعة ، وعليه، لازم نعرفوا اسميتكم نعم آس ؟

لمفضـــل : نحن ؟ نحن اسميتنا لمفضل ..

القنفـــود : تبارك الله . أنتما هما موالين الخير كلو وخلاص ؟ وشكون

اللي سماكم لمفضل آمولاي .. لمفضل ؟
لمفضـــــل : نحن .. نحن اللي سمينا راسنا براسنا ..
النمـــــس : أييه، إيوا راس عندكم آمولاي لمفضل ..
لمفضـــــل : شفتو العبقرية والنبوغ والسنطيحة حتى هي، شنو دايره بي ؟
النمـــــس : شفنا نعم آمولاي .. والله إلى شفناها ..
لمفضـــــل : إبوا قولوا باز، وقولوا التسليم لرجال الله ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
النمـــــس : نقولوها ، وحق الله حتى نقولوها ، باز آسيدي باز، والتسليم ، واسنطيحة كبيرة عندك أمولاي .. لمفضل ..
القنفـــــود : (لصديقه على انفراد) لا ظاهر، السنطيحة هو مولاها ، والشي لآخر ، يعلم الله ..
لمفضـــــل : آسيدي، اسمعني انقولليك ، راه السنطيحة لمقزدرة هي كلشي فهاد الزمان ..
النمـــــس : ياك نعم آس ؟
لمفضـــــل : وهكذا بغا ت الوقت، شرف الله قدركم ..
النمـــــس : ابغيت نسولك آلسي لمفضل ؟
لمفضـــــل : (لنفسه) عاد دابا وهو يقوللي مولاي ، ودغية دغية اصبحت غير السي، ووللات هاد السي حافية وناشفة ويابسة ، آش جرا وطرا في ملك الله تعالى؟ (للنمس) أييه ، راني كنآذن لك باش تسولني ، أتفضل ..
النمـــــس : أشكون اللي فضلك ألسي لمفضل ؟ وعلى من فضلك ؟ وشنو درت في زمانك، حتى فضلك على غيرك من الناس ؟
القنفـــــود : واش أنت هو اللي جريت الماء فالعيون والسواقي ؟
لمفضـــــل : ألا ..
النمـــــس : ولا أنت هو اللي رفعت هاد السما للسما ؟
لمفضـــــل : بالصراحة ، ألا ..
النمـــــس : ما تكونش أنت هو اللي قلت للديك الفصيح باش يصيح ؟
لمفضـــــل : وحتى هادي ، ألا ..
القنفـــــود : وعلاش سميتك لمفضل آلمفضل ، اعلاش ؟ ابغينا غير نعرفوا اعلاش ؟ قوللينا اعلاش ؟

لمفضـــــــل : نحن ما اسميتناش لمفضل حافية ، اسميتنا ـ شرف الله قدركم ـ الحاج لمفضل النخوة ..

النمـــــــس : الله أكبر ، ووقتاش حجيتي ؟

لمفضـــــــل : نحن ؟ باقي ماحجينا ..

القنفــــــود : وكيفاش درتي ليها ، حتى ووليتي حاج آ .. الحاج ؟

لمفضـــــــل : العبقرية ، والنبوغ ، والسنطيحة ، ياك جات معايا ؟ الحاج لمفضل مول كل شي، والعالم في كل شي ، هو نحن ..

النمـــــــس : وهادا لحماق هذا ..

القنفــــــود : واش أنت مسؤول كبير ؟

لمفضـــــــل : ما أنا مسؤول كبير ولا صغير ..

النمـــــــس : عرفناك ، أنت من الأعيان ..

لمفضـــــــل : ألا ، راك باقي ما عرفت والو ..

القنفــــــود : (يهمس له) وياك ما تكون من الأمن السري ؟

لمفضـــــــل : أنا من الأمن السري ؟ (يضحك) الله يجيبكم على خير ..

القنفــــــود : إيوا ما تكون غير شي واحد غني، وشبعان وسخ الدنيا ؟

لمفضـــــــل : أبداً أبداً ، نحن ـ ولا فخر ـ رجل فقير، ولكنني شريف ، وغني بكرامتي ..

النمـــــــس : آويلي، أنت فقير؟ وكتقولها بوجهك حمر؟

لمفضـــــــل : أبيه ، وعلاه بغيتني نقولها بوجهي خضر؟ فقير بحال كا عباد الله، مع أنه كان من اللازم باش نكون من أغنى الأغنياء في هاد الوطن، كتعرفوا علاش ؟

القنفــــــود : اعلاش ؟

لمفضـــــــل : (لنفسه) ما بقاوش كيقولولي نعم آس.. لأنني مواطن، مواطن كامل المواطنة ، فهاد الوطن الغني بخيراته ..

النمـــــــس : كفاش ؟ أنت غير مواطن ؟

القنفــــــود : مواطن وصافي ؟

لمفضـــــــل : وليه مواطن جاتكم ساهلة يا لولاد ؟

النمـــــــس : اتخدعنا فيه آصاحبي ، واحترمناه ، وقدرناه ..

القنفــــــود : وهو غير مواطن ..

النمـــــــس : وشحال من مرة خفنا منو ، وجاملناه ، وحاولنا تقربوا منو ..

القنفـــــود : وهو غير مواطن ..

لمفضـــــــل : نحن غير مواطن ، ولا شيء يعلو فوق الوطن ، ولا كرامة تعلو فوق كرامة المواطن الشريف في وطنه .. والآن ، شرف الله قدركم، يمكن ليكم تبعدوا من الطريق شي شويه ، لأننا في الطريق إلى هاد المطعم الفاخر، لنمارس مواطنتنا كاملة ، ولنحيا ساعة هناء ، قبل ما تجي الموت، وتسوقنا جميعا إلى الدار الدايمة .. (يدخل إلى المطعم وهو يمشي بزهو كبير)

القنفـــــود : وا ليلة هادي واشمن ليلة ..

النمـــــــس : شفنا فيها آصاحبي اللي ما عمرنا شفناه ..

القنفـــــود : شفنا غرائب المخلوقات ، ودابا عاد عرفت وتأكدت، باللي كائنات الليل ماشي بحال كائنات النهار ..

النمـــــــس : قلة لحيا هادي، غير مواطن وجا للمطاعم الفاخرة ..

القنفـــــود : وحتى احنا يمكن لينا نديروا بحالو، نفرحوا براسنا شي شويه ، وندخلوا لهاد المطعم ، ياك هاد الليل آ صاحبي امشى فحالو؟

النمـــــــس : (وهو يرى حوله) إيه .. تقريبا آصاحبي ..

القنفـــــود : ها انت شوف ، السما صافية والدنيا هانية ، وكل شي بألف خير ..

النمـــــــس : يا الله أصاحبي، وتما نكتبوا التقرير على خاطر خاطرنا ..

القنفـــــود : نكتبوا التقرير ؟ وشنو غادي نقولوا فيه آصاحبي ؟

النمـــــــس : غادي انقولوا اللي شفنا وسمعنا ..

القنفـــــود : أييه ، ونزيدو شي شوية فالكلام، وقولوا فالتقرير، إنه بفضل يقظتنا، أصبح كل شي على ما يرام ..

القنفـــــود : والسلام، وها هي الليلة دازت بخير وعلى خير ، إيوا يا لله آصاحبي (وهما يهمان بدخول المطعم ، يسمع صوت درهمان قادما من بعيد)

النمـــــــس : آش هذا آصاحبي ؟وياك ما وقعت الواقعة وحنا لا خبر ؟

القنفـــــود : ما تخافش أصاحبي ، هذا غير ذاك الشحاذ لعمى ..

(يدخل درهمان الشحاذ وهو يسوق دراجنه بطريقة بهلوانية)

درهمــــــان : يا أهل هذا المكان من بني الإنسان، لا تخافوا ولا تحزنوا، وابقوا حيث أنتم، ولا تغادروا المكان، ابقوا قلت لكم ، حتى نفرجكم علينا ، ونريكم من آياتنا عجباً ، الفرجة هذه الليلة، وفي كل ليلة ، بالمجان، أي نعم، بالمجان ، أو.. تقريباً ، بما يمكن أن يشبه المجان ..

القنفــــــود : وا منحوس هاد لعمى ..

النمــــــس : هذا أعمى ساكنو عفريت ، والأعمى اللي ساكنو، ظاهر آصاحبي عندو عينيه ..

درهمــــــان : لست من الجن ولا من الشياطين، وما أنا إلا رجل فنان، أنا نابغة وعبقري، أنا ساحر وبهلوان ، وما الفنون يا ضيوفي إلا جنون، ولكنكم لا تعلمون ، أنا صاحبكم درهمان ، شوفوني وتأملوا آش كيديوا العميان في ليل العميان .. أنا مصيبة المصائب، في زمن الغرائب والعجائب ، أنا فلتة من فلتات الزمان، أنا معجزة من معجزات الرحمان .. (يتوقف عندهما)

النمــــــس : عاودتناني انت ، اشنو بغيت آدرهمان ؟

درهمــــــان : أنا ؟ والو ، وحق لا إله إلا الله ، ما بغيت لكما إلا السلامة والعافية وطول العمر ، وأن يخرج الله سربيسكما على خير، قولا آمين يا رب العالمين ..

القنفــــــود : آمين ..

درهمــــــان : راني شفتكم يا أولاد ال .. ومن بعيد جداً

القنفــــــود : قلت شفتنا ؟

درهمــــــان : أي نعم، وبعين قلبي والله ، وليس بعين وجهي ، شفتكم غاديين للمطعم ، باغيين تتعشاو ياك ، ومتى ؟ في هاد الوقت المتأخر من الليل، أو .. المتقدم من النهار، لست أدري ..

القنفــــــود : آش بغيت تقول أدرهمان ؟

درهمــــــان : ابغيت نقول ما يلي ، ياك الخدمة خدمناها جميع ، وبحال اللي شميتوا انتما ، راه نحن أيضا شمينا ..

النمــــــس : آ درهمان ، راه باقي ما شفنا منك خدمة ..

درهمــــــان : سوف تأتي الخدمة قريباً ، وستقولان إن شاء الله ، فعل درهمان ، وقال لنا درهما ن ، وحذرنا من هذا وذاك درهمان ،

وستندمان لأنكما نسيتماني ساعة العشاء .. (بحزن مفتعل)

القنفـــــود : ياك بغيت غير لعشا ؟ يا الله آسيدي معانا ، مرحبا بك ..

درهمـــــان : فهمتني خطأ يا صاحبي ، أنا ما بغيت العشاء ..وا لحماق هاذا، وشنو بغيت ؟بغيت ثمن العشاء ، إلى ما كان عندكم مانع، صرفوه لي فلوس ، الله يصرف ذنوبكم إلى حسنات ..

النمـــــس : وانمرة هذا، واشمن نمرة ..

درهمـــــان : أنا نمرة رابحة في يانصيب الزمن ، شكاك دائماً ، هجاء أحياناً ، سليط اللسان إذا دعت الضرورة ، طماع إذا وجدنا أهل الخير والإحسان (بحالكم) طفيلي في المآدب ، حاضر ناظر، إذا مدت الموائد ، وصفت الأطباق، كما أنني ـ ولا فخر ـ كثير الشكوى إلى الله، وإلى عباد الله ، كثير الإدعاء قليل الحياء ..

القنفـــــود : لا، باين عليك ..

درهمـــــان : ثرثار، مهذار ، بضاعتي الكلام في سوق الكلام ، والأهم من كل شيء ، أنني جبان وضعيف ..

النمـــــس : أنت ضعيف ؟ سبحان الله ..

درهمـــــان : أييه ، أنا ضعيف ، خصوصاً أمام سيدنا ومولانا ، والذي إذا ظهر هو ، تبخرت أنا ..

القنفـــــود : مولانا ؟ (في غضب زائد) اشكون كتقصد ؟ أدوي ..

درهمـــــان : يا سيدي ، افهمني أولاً ، ثم من بعد اعطني ما شئت من الأموال، راه مولاي هو مولاك نفسه، وهو مولى كل الناس أجمعين ، أسماؤه كثيرة وهو واحد أحد ، مرة ـ يا أولاد ال ـ هو الدرهم ، ومرة هو الدينار ، ومرة هو الدولار ، وأنا لا أغمض عيني ، ولا أفتحهما ، إلا من أجل مولانا هذا ، حرسه الله ورعاه، وجعلني ـ وإياكم ـ من خدامه الأوفياء ، ومن محبيه ومن رعاياه ..

النمـــــس : هذا شحاذ مثقف مزيان آصاحبي (لصديقه)

درهمـــــان : أنا ماشي شحاذ ، ولا متسول ، وما أنا إلا فاعل خير، ومهمتي شريفة ونبيلة جداً، وإنني أشتغل ـ يا أولا ال ـ بتنظيف الجيوب الوسخة والقذرة والعفنة ، وآخذ من المتخمين شيئاً قليلاً ، حتى

لا تقتلهم التخمة .. ديوا الخير تلقاو الخير يا أولاد الذين..

القنفـــــود : هاك ، خذ (يعطيه ورقة مالية) وبالحق سر شوف شغلك ..

درهمـــــان : (وهو يشم الورقة) اللّه اللّه ، ما أطيب ريحها (يطويها بعناية ويضعها في جيبه الداخلي) شفت الفجر قرب ، وعليه فإنني أقول لكما، من دابا ـ صباح النار .. عفواً ، صباح الأنوار ..
(يركب دراجته وينطلق ، ويدخل المخبران إلى المطعم)

13 - وأخيراً حضر ابن هدي المنتظر ...

الصافيـــــة : (وحدها) يا الله ، كيف أبدو الآن ؟ ليت لي مرآة ، حتى أرى وجهي، لاشك أنني تغبرت ، ولكنني لم أشخ بعد ، ولا أحد يمكن يشيخ بعد سنة، أليس كذلك يا فرح ؟ أخبريني عن الرجل المنتظر، هل سيتعرف علي من أول نظرة ؟ لا أظن ، وأنا ؟ هل سأعرفه ؟ جائز أن يخطئه بصري ، ولكن قلبي العاشق لابد أن يدلني عليه ، وأن يقول لي هو هذا ..إنني أتصوره الآن يا فرح، وقد ازداد وسامة وأناقة، وأصبح يرتدي القميص والبنطلون، ومن يدري ؟ فقد تكون على رأسه برنيطة، وأن تكون في يده سيجارة ، وأن يكون عنقه مطوقاً بربطة عنق حريرية ، وأن يكون متعطراً بالبارفان الباريسي ..وعقله أيضاً، مثل ملابسه، سيكون قد تغير كثيراً، وأصبح أكثر تفتحاً وأكثر تحرراً ، وأكثر تسامحاً ، وأكثر تفهماً ، وهذا شيء طبيعي يا ابنتي ، ومن عاشر قوماً أربعين يوماً ، فإنه لابد أن يصبح مثلهم، وأن يكون منهم ، وهو قد ساكنهم سنة كاملة ، ولابد أنه قد أصبح اليوم رجلاً آخر .. يا الله ، ما أجمل المعرفة ، وما أنبل العلم ، ولقد أخبرني أبوك ـ في رسالته الأخيرة ـ أنه منكب على دراسة العلوم ، ويعلم الله أية علوم يدرس ؟ عندما يأتي، سنعرف كل شيء ..

(يقف عبد الله المجذوب وعبد البصير وظهرهما إلى الجمهور، تخفت الإضاءة شيئاً فشيئاً ، ولا يتبقى إلا بقعتان ضوئيتان ، الأولى تقف بداخلها الصافية وعربتها ، والثانية يقف بداخلها عبد الله المجذوب وعبد البصير)

عبد البصير : أنت من أنت أيها الرجل الحكيم ؟
عبد اللــــــه : لست حكيماً يا هذا، وما أنا إلا طالب حكمة ..
عبد البصير : ولكنك لست أعمى ، في ليل العميان ..
عبد اللــــــه : ما أنا إلا واحد بين كل الناس ..

عبد البصير : واحد؟ وابن من أنت ؟

عبد اللـــــه : أنا من أبناء عبد الواحد ، وأنت أيضاً، من أبناء عبد الواحد، وكلنا يا عبد البصير ـ في هذا الكون الواحد ـ أبناء أبينا عبد الواحد ، وكل أبناء عبد الواحد واحد .. (يصبح المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى الجانب الآخر)

الصـافيـــــة : (وهي تقف أمام عربتها ، يدخل رجل بلحية كثة وهو في رداء أفغاني، وهو يمسك بيده صرة كبيرة وثقيلة جداً، يقترب منها في حذر شديد) هذا الرجل ، ملامحه ليست غريبة عني ، إنه ينظر إلي ، وكأنه يعرفني ..

بن هـــــدي : السلام عليكما أيتها المنتظرتان .. (وهو ينظر حوله في خوفه، ويحاول أن يخفي ملامح وجهه)

الصـافيـــــة : وعليك السلام ورحمة الله ، وكيف عرفت أنني أنتظر ؟

بن هـــــدي : إنني أعرف أنك تنتظرين ، وأعرف كم مضى من الوقت وأنت تنتظرين، وأعرف أيضاً، من يكون الرجل الذي تنتظرين ..

الصـافيـــــة : (لنفسها) يا الله . هذا الصوت ليس غريباً عني ، أتكون أنت هو؟

بن هـــــدي : نعم ، أنا هو، بعلك الذي أعاده الله إليك سالماً غانماً ..

الصـافيـــــة : (وهي تتأمله) ولكنك تغيرت كثيراً ..

بن هـــــدي : وأحمد الله أنني تغيرت يا امرأة ..

الصـافيـــــة : أما أنا ، فمازلت كما كنت ..

بن هـــــدي : لقد غيرت طريقاً بطريق ، وتخليت عن أوهامي القديمة، واستبدلت كل رفاق الطريق، وذلك بعد أن أدركتني رحمة الله تعالي ، وهدتني إلى الطريق المستقيم ..

الصـافيـــــة : هذه اللغة ، لم تكن لغتك من قبل ..

بن هـــــدي : تلك اللغة ، كانت لغة الجاهلية يا امرأة ..

الصـافيـــــة : لقد ذهبت إلى بلاد الغربة ، لتبحث لنا عن رزق ، هل نسيت هذا ؟

بن هـــــدي : ماذا أقول لك؟ هجرة المهاجرين الأولين، لم تكن بقصد المال يا امرأة

الصـافيـــــة : وبقصد أي شيء كانت ؟

بن هـــــدي : كانت بحثاً عن الحق والحقيقة ، وكانت هجرة إلى النور، وهروباً من الظلم والظلام ..

الصافيـــــة : (وكأنها تكلم نفسها) الحق والحقيقة، والنور والظلام ؟ دعنا من هذا الآن، والمهم من كل شيء ، هو أنك عدت لنا..

بن هـــــدي : نعم عدت ، ومعي اليوم خير كثير..

الصافيـــــة : تقول الخير الكثير ؟ هل أصبحت غنياً ؟

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا أمة الله ؟ الله وحده الغني ، وكلنا في ملكه فقراء ..

الصافيـــــة : والمال ، ألم تتغرب من أجله ؟

بن هـــــدي : وما عندي اليوم ـ لو تعرفين ـ أفضل من المال ..

الصافيـــــة : أفضل من المال ؟

بن هـــــدي : لقد عرفت الله يا أمة الله، أخيراً عرفته وعرفني، وقربني من أهل الإيمان والتقوى ..

الصافيـــــة : عجباً ، أخيراً عرفت الله ، وأين تم هذا الفتح المبين ؟ قل أين ؟ في بلاد الغربة ؟ ألم يكن الله موجوداً هنا أيضاً ؟

بن هـــــدي : هكذا شاء الله ، وما أراد الله كان ، وقدري أن أعرفه هناك وليس هنا ..

الصافيـــــة : يا ويلي، إنك تخيفني بهذا الكلام .. (يسمع صوت بكاء الرضيع)

بن هـــــدي : (مشيراً إلى العربة) أهذه هي الأمانة يا امرأة ؟

الصافيـــــة : أية أمانة ؟

بن هـــــدي : تلك التي استودعتها في بطنك ، ورحلت ؟

الصافيـــــة : سبحان الله ، كأن الرجل ليس هو، وحتى لغته لم تعد لغته ، فماذا جرى لهذه الدنيا ؟ (لنفسها)

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا امرأة ؟

الصافيـــــة : أقول، تلك الأمانة التي كانت في أحشائي ، هي الآن هنا ، في (الكروسة)

بن هـــــدي : (وهو ينظر داخل العربة) سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، وماذا سميتموها ؟

الصافيـــــة : سميناها (فرح)

بن هـــــدي : (بغضب شديد) ماذا ؟ فرح ؟ ومتى ؟ في زمن الغضب ؟ اسمعي يا امرأة، من الآن هي الشيماء، وأنت أم الشيماء ، وأنا أبو الشيماء، هل سمعت ؟

الصافيـــة : نعم سمعت (لنفسها) ويا لهول ما أسمع الليلة ..

بن هـــــدي : ثم أيضاً ، ما هذه الملابس التي عليك ؟

الصافيـــة : هي ملابسي يا رجل ..

بن هـــــدي : بل هي ملابس الفرنجة يا أم الشيماء، وما في هذه المدينة الفاجرة إلا الخارجون عن الحق ..(يبقى المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى البقعة الضوئية الثانية)

عبد البصير : وأنا يا عبد الله ، من بين كل عباد الله ، في دنيا الله ، ماذا أمثل بالنسبة إليك ؟

عبد اللـــــه : لست أدري ، إن كنت صديقي فأنت صديقي، وإن لم تكن، فلست عدوي ..

عبد البصير : هذه الحكمة يا عبد الله ، من علمك إياها ؟

عبد اللـــــه : الظلم علمني، والفقر أغناني، والغربة غربتني ، وهذا القهر الذي في وطني أماتني ثم أحياني ، وأدخلني في لجة الظلمة ثم أخرجني ..

عبد البصير : يا الله ، في هذا البلد خلل إذاً ؟

عبد اللـــــه : نعم ، وهو بسعة هذا العالم كله، لقد أدخلوني السجن يوماً، وقلت لهم، ما أضيق هذا الكون ، وما أوسع سجني، وأغمضت عيني ورأيتني أكبر من لحظتي وأرحب من مكاني.. رأيتني ورأيت سجاني ، وأشفقت عليه، وقلت في سري ، ما أشقى هذا الرجل وما أسعدني ، أنا في هذا السجن أكثر حرية من سجاني ، وأنا في هذا الوطن أكثر امتداداً من وطني ..

(يسمع جرس الدراجة الهوائية وهو يرن بقوة ، يقترب صوت درهمان وهو قادم)

بن هـــــدي : (في خوف) من هذا القادم يا امرأة ؟

الصافيـــــة : هذا درهمان الأعمى، شحاذ الحي ، وهو وحده الأعمى الذي يرى ويسمع في كل العالم تقريباً ، وهو شحاذ لطيف وظريف، لا يؤذي أحداً ، ولا شيء يشغله سوى أن يتدبر قوته اليومي ،،

بن هـــــدي : الويل له ، الويل له ، ألم يجد غير هذا الوقت ليأتي ؟ (لنفسه) سيفسد هذا المجنون كل شيء (يدخل درهمان، ويدور بدراجته وسط الخشبة)

درهمـــــان : هذه هي دورتي الأخيرة ، وبعدها سأعود إلى بيتي ، وإلى ربة بيتي ، وإلى أهل بيتي ، وقبل الانصراف ، أرى من حقي أن أقول كلمتي الأخيرة ، أقولها لمن يرى ويسمع ، ولمن يسمع عني ولا يراني .. يا أيها الذين تقيمون في السماء، مع النجوم اللامعة ، ومع الأقمار الساطعة ، من هناك ، من فوق ذلك السحاب، طلوا على أهل الأرض ، وعلى كائنات الرمل والوحل والتراب ، وأقول للذين يسكنون تحت الأرض ، اخرجوا للضوء والهواء ، واعلموا أن السماء قريبة جداً .. (يمد يده إلى فوق) ها هي السماء ، إنني أمسكها بيدي .. هذه ليلة مضت ، وغداً سوف تأتي ليلة ثانية ، هذا شيء مؤكد ، ولكن نحن، أنت وأنا والآخر، هل سوف نعود ؟ لست أدري .. باي باي يا أولاد الذين.. هيئوا دراهمكم، وإن شاء الله ، غداً (راني جاي)

(يخرج)

14 - خاتمة الموال ..

(تختفي الإضاءة العامة من جديد ، وتعود بقعة الضوء الضيقة)

الصافيـــــة : سبحان الله، لم يعجبك اسم ابنتنا ، ولم تعجبك ملابسي ، وماذا بها هذه الملابس أيها الرجل ؟

بن هـــــدي : هي ملابس نساء الكفار ونساء الزنادقة والملاحدة ، ونساء الخارجين عن الملة ، ولك عندي أحسن منها ..

الصافيـــــة : ليس المهم الملابس ، ولكن قلبي ، وليس بقلبي إلا حب الله ..

بن هـــــدي : نعم ، وحب الله مع شيء من الاحتشام ، لا يعادله شيء ..

الصافيـــــة : وهذه الملابس المحتشمة، هل ستغير من جوهر روحي شيئاً ؟

بن هـــــدي : لا تكثري من الجدل يا امرأة ، خذي هذه الملابس والبسيها، فهي وحدها لباس المؤمنات الصالحات .. (يفك الصرة ، ويخرج منها ملابس سوداء ، ويلقي بها إليها)

الصافيـــــة : (وهي تضع الملابس عليها ، وتكلم نفسها) انتظرت أن يعود في زي الإنسان، ولكنه عاد في ثوب السجان ..

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا امرأة ؟

الصافيـــــة : إنني أسأل نفسي ، أيكون هذا هو كل ما أتيتني به ؟

بن هـــــدي : لا، ليس هذا فقط ، لقد أتيت لك بهذه النظارات أيضاً ، وبهذه القفازات السوداء ، وهي من النوع الجيد والرفيع والغالي ..

الصافيـــــة : النظارات ؟ ولكنني لست عمياء ..

بن هـــــدي : أعرف ، أنت لست عمياء ، وعيون الرجال الوقحة أيضاً ، ليست حولاء ولا عمياء .. (تضع النظارات على عينيها ، وترتدي القفازات ، يبقى المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى عبد الله وعبد البصير)

عبد اللـــــه : إن الأصل في هذا الوجود يا عبد البصير أنه متعدد الألوان والأصباغ، فهومثل الطاووس تماماً ، حقيقته في تعدد ألوانه، والتي هي ألوان الأرض نفسها، و ألوان السماء نفسها وكل الأشياء، وإذا اختزلنا ألوان هذا الطاووس في لون واحد أوحد، وكان هذا اللون هو الأسود ، فإنه لن يظل طاووساً كما خلقه الله ..

عبد البصير : وماذا يصبح يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : يصبح غراباً ، وما أكثر الدعاة إلى غربنة الوجود وإلى غربنة الحياة ، وإلى غربنة الأحياء وإلى غربنة عقول وأرواح كل الأحياء ، ولأنني ـ يا عبد البصير ـ لا أفكر كما يفكر كل الناس، فإنني مجنون وأحمق ، وعلامة جنوني وحمقي أنني أدخلت المصحة (لنفسه) وهل هي فعلاً مصحة أو هي سجن؟

(يبقى المشهد جامداً ، تنتقل الحركة إلى الجهة الأخرى)

الصافيـــــة : عجباً، لقد انتظرتك كل هذا الوقت لتأتي ، وعندما أتيت، وجدتك رجلاً آخر..

بن هـــــدي : وأنت أيضاً، ينبغي أن تكوني امرأة أخرى ..

الصافيـــــة : شيء جميل أن يتغير الإنسان ، ولكن ليس إلى هذه الوجهة ، وليس إلى هذا الحد ..

بن هـــــدي : أي حد ؟

الصافيـــــة : أن يصبح الإنسان هو غير هو، وأن يخرج من لحمه ومن عظمه ومن جلده..

بن هـــــدي : أنا اليوم ـ بفضل الله ـ أحسن من ذلك الزنديق الذي كنت ..

الصافيـــــة : نعم ، أنت أحسن منه في شيء ، وهو أحسن منك في شيء، والأحسن منكما معاً ، هو ذلك الذي كان ينبغي أن يكون ، والذي أحببته ، وانتظرته ورسمته في خيالي (لنفسها) ولكنه مات في الطريق ..

بن هـــــدي : لقد أراد الله بنا خيراً يا امرأة ..

الصافيـــــة : نعم، ونحن نريد بأنفسنا شراً ، وتلك هي المهزلة يا رجل ..

بن هـــــدي : مقارعة الشر للشر ليست شراً ..

الصافيـــــة : يا ويلي ، إنك تخيفني بهذه الأفكار الغريبة ..

بن هـــــدي : لا تخافي ، ولا تحزني، واعلمي أن الله معنا ، خذي هذا الحجاب ، ولفي به رأس ابتنا .. (يعطيها ثوباً)

الصافيـــــة : ولماذا الحجاب ، وهي لاتزال صبية ؟

بن هـــــدي : اعلمي أن من شب على شيء شاب عليه ، والاحتشام والوقار ليس لهما زمن محدد ..

الصافيـــــة : هذا ليس حجاباً، وإنما هو كفن أسود،

بن هـــــدي : هي ابنتي، ومن حقي أن أفعل بها ما أشاء ..

الصافيـــة : آه ، تذكرت ، هي ابنتك ، ولكن ، ما رأيك لو نسميها الموؤودة؟

بن هـــــدي : ماذا ؟ الموؤودة ؟

الصافيـــة : أليس هذا الاسم هو أحسن كل الأسماء ؟

بن هـــــدي : الوأد لا يليق إلا بالجاهلية ..

الصافيـــة : (لنفسها) نعم، وهل هذا الفعل إلا من زمن الجاهلية ؟

بن هـــــدي : خذي هذه النظارات أيضاً ، وضعيها على عيني البنت (يعطيها نظارات سوداء صغيرة) فهي أنثى ، وكل أنثى عورة ..

الصافيـــة : (وهي تضع النظارات داخل العربة) الآن أصبحت تشبهين أمك في كل شيء ، ولقد فعل الله خيراً أنك أنثى ، ولو كنت ذكراً مثل أبيك، لركب لك في وجهك لحية ..

بن هـــــدي : (يخرج من العربة دمية ، ويحضنها ، ثم يدفع بالعربة إلى باب الحانة، بعد أن يلقي بداخلها ما تبقى في الصرة) تعالي يا امرأة ..

الصافيـــة : والعربة ؟ (وهي تنظر باتجاه الباب الذي دخلت منه العربة)

بن هـــــدي : لسنا في حاجة إليها ، وسوف آتيك بما هو أحسن منها ، تعالي.. (يجرها من يدها ، ويخرج مسرعاً ، وما أن يبتعدا قليلاً حتى يسمع دوي انفجار شديد ، وتظلم الخشبة ، يسمع صوت سيارات الإسعاف وسيارات الإطفاء ، وصوت تغيير المحطات في الراديو ، وأصوات شعارات نشرات الأخبار في التلفزة .. ضجيج وصخب ، ونداءات غير مفهومة ، يعود الضوء إلى البقعة التي بها عبد الله وعبد البصير ، بينما يتعالى الدخان من الجهة الأخرى)

عبد اللـــــه : يا عبد البصير، حاول أن تبصر ..

عبد البصير : وهذه الظلمة التي في قلبي وعيني، وفي عقلي وروحي ، ماذا أفعل فيها ؟

عبد اللـــــه : أوقد لها شمعة يا عبد البصير..

عبد البصير : هي ظلمة دامسة وحالكة يا عبد الله ، وماذا تفعل معها شمعة واحدة ؟

عبد اللــــــه : أوقد لها قنديلاً أو سراجاً ، واحترق أنت إن استطعت، واحرص على ألا تكون لغماً منفجراً ..

عبد البصير : هل شاخ الزمان يا عبد الله ؟

عبد اللــــــه : شاخ الزمان ، وشاخ الإنسان ، وشاخ هذا الليل، ولم يبق سوى أن تدق ساعة الرحيل ، وأن يولد يوم جديد ..

(يسمع صوت انفجار آخر ، وتظلم الخشبة تماماً ، ويستمر الحوار بين عبد الله وعبد الصير في الظلمة)

عبد البصير : يا عبد الله، إنني أرى الظلمة تزحف على الضوء، وأرى الجهل يطرد العقل، وأرى الكلمة يتسابق إليها الحمقى ..

عبد اللــــــه : وماذا غير هذا يا عبد البصير ؟

عبد البصير : أرى الموت يطارد الحياة ، ويتوعد الأحياء ، وأرى المأتم يأخذ مكان العيد، ويحاول أن يطفئ كل الشموع وكل القناديل وكل المصابيح، وأرى القبح يا عبد الله يزاحم الجمال، ويحارب الكمال والاكتمال .. ياليلي ، يا عيني، على الدنيا وعلى أهل الدنيا ..

(يرتفع صوت المغني بموال حزين)

عبد اللــــــه : لم تقل لي يا عبد البصير، ماذا سوف تسمي مسرحيتك ؟

عبد البصير : هي ليست مسرحية ، ولكنها موال يا عبد الله ، موال حزين في ليل شبه حزين .. وسوف أسميها (يا ليل يا عين)

(يرتفع صوت الموال أكثر وأكثر)

المــــــــوال

ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أيها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء